شيء من تفتح الذات

☆



الذين نعمل ابداً ، ونادي ابداً ، بالسير صعداً في اتجاه حياة حرة ، في اتجاه حياة سعيدة . لا نفتأ ندل الناس على الطريق ، مهما اعترضنا في سبيل هذا وهذا ، من عنت وتصعب وجهد وغلاب .

فالعمل للحياة الناشطة ، للحياة المشبوبة ، بفضل من العزم الى فضل من المضاء ، ليس سهلاً ميسوراً وليس جنى مبذولاً وليس سبيلاً ممهوداً .

بل هذا العمل للحياة ، خطة آلام لاتهن بها بل تقوى ، اذ عرفت كيف تجعل من كل الم جديد وجهاً لامل جديد . . خطة عزائم لا تتفال ، فقد عرفت جيداً كيف تجعل من المصاعب الجديدة سبيلاً للتزود باستعدادات وخصائص جديدة . . خطة تبعثات لا يكم عليها كابوس مهما كان منه ، بل تظل متدفقة ابداً ، فقد عرفت كيف نجعل من العقبات الجديدة المعترضة سبباً الى تفجرات جديدة منطلقة . حتى ليكون سبيلها سيل الارض الجياشة بالقوى ، كلما حفت دون انطلاق قواها الجلامد الصم ، زلزلت حيناً وهدرت حيناً ، ثم آذنت ببركان اي بانطلاق اقوى قوة واشد شدة وابلغ وقيعة . . خطة تطلعات وآمال كبار ، لا يكسف منها سدائل اليأس في سير الحياة وسباق الاحياء ، اذ عرفت كيف تزرع في اليأس بذور الامل ، مثلما يحول المكان الجديب الى مكان ممرع خصب . . خطة انطلاق ووثوب ، لا يقعد بها العجز ولا تعوقها الاخاديد ، بل تزيد في معناها وتفسح في مجالات وفورها . فمن شأن الوثوب ان لا يكون في الطرق الممهودة ، بل حيث المزالق . والعمل العبقري دائماً لا يكون ، الا حيث تكون الموانع العبقرية ايضاً . . خطة احلام بعيدة ، فما كانت الوان الحياة يوماً ، الا صنوفاً من الوان الاحلام . وما تفاعلت الاحلام مع ارادة الكائن الحي ، الا غدت حقائق حية .

فالى مثل هذا التفتح الروحي المعتد الشامخ ندعو ، كي يؤخذ الناس بمرحلة جهاد روحي عميق ، يفجر فيهم كوامن الشخصية التي كلما اغفت ، اضمحلت وبار الكائن بواراً بائساً .

هذه الشخصية التي تحلى بخصائصها انساننا القديم ، الذي غامر فاصحر ، ثم غامر فابحر ، فما قطعت دونه سدود من الماء او الصحراء .

وفي هذا المقام تعجبني كلمة جد عظيمة لرجل من قادة المجتمع الحديث «روزفلت» (اللهم اني لا اسألك حملاً خفيفاً ، ولكن اسألك ظهراً قوياً) . . هذه الكلمة الواعية التي جاشت بها روح وعت معنى وجودها ووعت مسؤولية ذلك الوجود ، فهي لذلك لا تتهرب بل تواجه ، ولا تدفع المشكلة بالتأخر شيئاً فشيئاً ، بل تأخذها باليدين وتدفع بها بعيداً بعيداً .

انها ذات واثقة ، فهي لذلك لا تطلب الاكتفاء الذي هو نذير ضعف وانهيار وتهافت . بل تطلب جلداً تطلب استقواء ، ثم لا تبالي بالاعباء وان تكن فادحة ، وبالمخاطر وان تكن متغولة مهولة .

وما تأخر متأخر ، وانكفأ عنها منكفيء ، الا كان بمعناه انكفاء الحياة عن وجوده ، وتقهقرها في طبيعته ، وتسلبها من كيانه . ثم لا يكون بقاء هذا الانسان ، الا بقاء المعالم والاطلال ، تشير به الحياة الى انه الانسان القبر .

مدى اليقظة الروحية في حركة المعني الكبير

☆

ليس يعنينا هنا* ، من حركة فخر الدين المعني الا ما امتازت به من حيوية الروح، فقد كانت معطاء، خيرة في كل حقل من الحقول العامة .

على انها تميزت قبل كل شيء وفوق كل شيء بخصبها المعنوي وايقاظها العميق للذات الوطنية الغافية . ولقد اتصلت باثرها الباعث بعيداً بعيداً ، وتمددت في هيكل مجتمعنا الوطني تمدد الروح تمدد الحياة .

فاذا بنا كتلة من الحركة المتهيئة للوثوب ، وكتلة من الحيوية المتحفزة للتدفق والانطلاق ، واذا بالوطن من هذا وهذا ، يحلم احلامه الكبرى في اتجاه حياة رفيعة وغد سعيد . . .

والشعب الذي يحلم ، هو الشعب الذي يبدع ، الشعب الذي يفكر فيبتكر ، ويعمل فيجيء بالجديد الرائع ، ويتكشف ابداً عن معنى المعجزة في معنى العبقرية ، وعن معنى الخالق في معنى الالهام .

ان ذلك الانسان الذي كان يحلم احلامه الشاردة ، ويخط ظلوع احلامه فيما نسج من اساطير ، هو نفسه هذا الانسان الذي يعمل ويدهش ، والذي شاد من اضالع تلك الاحلام مدنية هذا الحاضر الشامخ . . وابداً كان ، الشعب الذي يحسن كيف يحلم ، هو الشعب الذي يحسن كيف يعيش ، صاعداً قدماً وعاملاً عنقاً في خطتين من امتداد وارتقاء .

في مفهوم الاحلام انها ظلال الذات ، وهي اي الذات تعمل ابداً على تجسيد ظلالها ، على تجسيد احلامها في دنيا الواقع ، مثل منشآت ومبدعات تمتعها كثيراً وتلذها كثيراً . بل لنشعر وشعوراً عميقاً بان الحياة في جوهرها لا تعدو ان تكون ظرفاً لعملية هذا التجسيد ، الذي يري الكائن معنى ذاته في كل وجه من وجوه الحياة وملمح من ملامح الواقع .

ولذا تكون الحياة قاسية جافة رخشنة متجهمة في حس الذات ، حينما يفرض عليها تجسيد غير احلامها او يحال بينها وبين هذا التجسيد فتتوق لذلك الى الحرية بمعناها المطلق وتنزع الى الانعتاق ، ما دامت الحياة لا معنى لها الا بهذا التجسيد، وما دام هذا التجسيد لا يتم ويمكن الا في جو من الحرية والحرية الخالصة .

وهل وطن هو اغنى من وطننا بالاحلام والاماني الكبار ، وهل كائن هو اوفر من كائننا حيوية ووقدة عزم . فلا بدع اذا احسسنا بما في مغامرة فخر الدين المعني من نزوع عنيف سام ، ومن توق شديد رفيع ، الى حياة هي نسيج احلامنا ، الى حياة نحن نجسد فيها ظلال ذاتنا .

لقد احس وطنينا المتمثل في شخص المعني الكبير ، بانه مكره لينسج على نوله احلام غيره ، فزمجر ناشداً تحريره ، فان فاته تحريره لم يفته تحطيمه .

فحركة المعني الكبير لم تكن فورة عادية ساذجة، بل غنية خصبة عبرت تعبيراً بليغاً ، عن ارادة كائننا وعن مدى عمق هذه الارادة ، ومدى تصلبها في مدى اندفاعها . . حركة اعتملت فيها عناصر ثلاثة افرغت عليها معاني قيمتها ، وهي :

١ — الحرية المتمردة المتحدية : حينما نوفر لانفسنا مجال الدرس الدقيق للحركة المعنية الكبرى ، ولما اتصل بها من قرب او بعد من ملابسات وظروف على منهج تاريخي علمي ، نخرج بنتائج تجعلنا نقطع بان هذه الحركة في جانبها السياسي ، كانت رغبة حرة اتقدت في حنايا الناس وانقدحت ترمي بالشرر متنمرة متمردة ، تحطم قيداً وتدفع جوراً وترفع ضيماً وترد اعتداء ، ساعية الى بناء الذات ناشدة عودة الروح .

اننا نحس ونحن ندرس « الواقع التاريخي » الذي جثم عندها وخالطها ، بالتململ المكظوم بين الاستغلال والعبث ، ودبيب الثورة المكبوتة بين الافقار والارهاق ، ومجاري الحرية التي افعمت وراء السدود وآنت بالتدفق بين هدر الكرامة والاضطهاد .

كما نحس ايضاً ونحن ندرس « الظرف التاريخي » الذي حف بها ولامسها ، بتوفر كل امكانيات العمل التحريري . فامر الدولة العثمانية مرج داخلياً وخارجياً ، ومشى التأزم والتعقد في اطرافها وتمادى حتى كاد يتصل بها في صميمها . وبدأ كون التاريخ يتحرك حركته شطر تحول جديد ، يتغير معه توزيع القوى فيغرب

* من كتاب لبنان الشاعر الذي هو قيد الاعداد والنشر

شرق ويشرق غرب .

فلا جرم كانت حركته رغبة واعية حرة، اجتمعت في نفسه مثلما تفرقت في نفوس الناس . . فخالطته هذه الرغبة بادي. بدء ميلًا انبرى يشبعه بالانتصار للخارجين على الدولة ومساندتهم وشد ازرهم، مثل « علي باشا بن جانبولاد » في حركته الانفصالية التي كادت تستقل بسورية عامة وتحررها، ثم خالطته هذه الرغبة املًا قوياً وضع خطته قبيل رحلته الى ايطاليا دارساً حقيقة الظرف التاريخي عن كثب ومقدار مساعدته او ملاءمته على الاقل .

ولقد عاد من رحلته بعزم آكد وامل اشد بالنجاح وخطة اكثر احكاماً، فقد تسنى لمع البعد التفكير فيها ملياً بكل اناة وبصيرة، فلم يلبث بعد ان عاد طويلًا حتى ابتدأها حرباً تحريرية عنيفة .

والذي يقطع كل ريب في هذا، انه مدة حكمه لم يكن الا مقوداً بحركة انفصالية تحريرية، او قائداً لحركة انفصالية تحريرية ايضاً، اذن فحركته كلها مقودة برغبة نزاعة الى الحرية مصممة عليها ساعية دائبة وراءها . .

ونحن — بالاستناد الى قرائن تاريخية عديدة تشير بل تفصح — نعتقد بان رحلته لم تكن هرباً او استنصاراً بل ازعاجاً للدولة في ظرفها المرهق، ولعل هذه الخطوة جانب من جوانب خطته التي احكم وضعها، ثم راح يحكم تنفيذها . . والا فالمعنى الكبير — كما تفيدنا رحلته — انبل في مذهب الهوى من ان يتنكر للامانة القومية، التي شقي ما شقي لها، وكابد ما كابد في سبيلها .

واذا كان هذا الوجداني الرغبة الحرة معنى من معاني حركته، فلا بدع اذا هزت المشاعر وارهفت الاحاسيس، ومدت بمعنوية ملهمة كبيرة وكبرياء منتجة مبدعة .

٢ — البعث الكياني بتوفير الطاقات الحية والاجتماعية، فقد انصرف بهمه وعنايته الى رفع المستوى الحيوي بتفجير منابع الثروة وتثميرها، كي يصنع كائناً وطنياً يلذه وطنه فينجذب اليه في معنى من الحنين، ويحوطه في معنى من الافتداء .

والى رفع المستوى الاجتماعي بدمج فئات المجتمع ما امكن وتحرير الطبقات المستضعفة، اعتقاداً منه بان مجتمعاً لا يقوم ابداً على الاضطغان والازورار، وان حركة المجتمع لن تتسق الا بتدخل كل قطعها واجزائها، تدخلًا فيه قابلية الاستجابة وطواعيتها بفضل الشوق الخالص .

كما اظهر انه يخشى في ذعر، ان تستحيل الديانات نفسها قاعدة طبقية، فيفسد المجتمع بما فيه ويفقد صفات انسجامه واتساقه واطراده . فليس بذي بال ولا بذي خطر كبيرين ان تكون فوارق ما بين الطبقات قائمة على صفات، ولابناء المجتمع عامة ان يتباروا في الاستباق على اكتسابها واجتلابها، ولكن ان تكون فوارق ما بينها قائمة على الوجدان وما يثبت فيه من دين، فعاصف ينذر باقتلاع المجتمع ويشيل بدعائمه . ولذا نقع له على مثل هذه المآتي والمآثر الوطنية، التي راح يحدثنا عنها « زرخود » « ففي ايامه اطلقت حرية اصحاب الديانات كالنصارى فبنوا الكنائس وركبوا الخيل مسرجة واعتموا بعمائم بيضاء وحملوا السلاح مجوهراً واتخذ منهم في بطانته وعسكره » .

٣ — العمق والامتداد : يطالعنا ونحن نمر بسيرته مراً رفيقاً، مقدار ما كان يعنى به من « تعميق » للشعور الوجداني في الناس، فيشجع البناء الديني ويساعد عليه ويباشره احياناً .

والدين في هذا الشرق رمز اخلاق ومثاليات رفيعة وصوفية متأملة تعكس روح الوجود في روحها، وتستشعر الله في معناها استشعارها بانه الحقيقة التي تحول اليها .

كما يطالعنا في سيرته اهتمامه بتمديد الذات وتكوينها، فيشجع الفكر ويسارع الى الافادة من القوى الجديدة التي تحاول الانبثاق والنماء فيفسح للجماعات الراغبة بالتنوير ويشد ازر الراغبين بالمزيد .

فكان من تعاون هذه العناصر وتآزرها، انبعاث حياة معنوية جديدة وخلق نهضة ادبية حافلة غنية، حدثنا عنها « زرخوه » كثيراً وافاضوا في الحديث . . فاذا بالادباء يتقاطرون اليه من كل مكان : من مصر من العراق، واذا بمجالسه الادبية الدائمة تغري منافسيه من آل سيفا، فيبسطون للادباء في دنياهم مثلما بسط لهم ويجتذبونهم مثلما فعل واجتذبهم .

فترى مجلسه وقد احتفل بمثل الاديب عطاء الله السلوني المصري الذي كان من خاصة حاشيته، وهو صاحب المقطوعة النادرة بما فيها من صناعة قال فيها يمدحه :

يراعك ان ابكيته ضحك الندى ... وعضبك ان اضحكته بكت العدى
نسيمة هذاك اعتدى قط رأسه ... وسيمة هذا قط رأس من اعتدى

ومثل حسن الحانيني ولهذا وحده مجموعة مدائح خاصة بالامير، ومثل العاملي والعيلبوني والكركي وطراز الريحان البعلبكي والحرفوشي وابن مجع البعلي الى آخرين كثيرين . . .

ونرى ايضاً مجلس منافسة الامير ابن سيفا، يحتفل بمثل

— التتمة في الصفحة ٧٦ —

عطر !!

« اليها ... في ليلة القدر »

☆

يا ابنة الحسن ! حرت . . من اين للاز   هـار هذا « الاريج » وسط الخميله
هو شيء مـا كان في الدرب قبلا   كـيف لا تلثم الغصون سبيـله
هو شيء نـمَّ النسيم عليـه   فطغى الورد اذ اصاب قليـله
هو شيء أضفى على الروض سحرا   مثل سحر العيون وهي كحيـله
هو شيء سرى يذكِّر بـالفر   دوس ... لما « حواء » كانت نزيله !
كنت عند الشبـاك — في ليلة القد   ر — أحيّ من النسيم عليـله
أسمـع العندليب يشدو بتعليـ   ـل طويل ... فلا أعي تعليـله
غير أني لمحت طيفك من بعـ   ـد ، كجر الطاووس — وهنا — ذيوله
تتهـادين فوق مخضوضر العشـ   ـب ، بوطأ يكـاد لا ينحني له
تتهادين ... في غلائلك البيـ   ـضاء ، كالبدر في الليالي الجميـلة
كنت عند الشباك .. في دهشة النر   جس ، ألقي بنظرتي في الخميله ..
فتيقَّنت أن مـسـراك فيهـا   أول الليل ... عطر الليل طوله !!

البحرين   ابراهيم العريض

عودة !..

بقلم صلاح الاسير

☆

لم تنم امس ، ومن حقها ان لا تنام ، بعد ان عصفت بها الزوابع وتناقلتها الرياح ، ولم ينم هو امس ، وما كان ينبغي له ان ينام ، بعد ان لقي في عودتها عتاباً صامتاً تنطق به عيناها في امل مخلص . . . لقد انتصر اذن ما في ذلك شك . .

انه كان ينتظر ان يصل الى هذه النتيجة . . . ان الازمات وحدها تطهر الحب من ادران الوقائع التافهة في دنيانا هذه . . كان من حقها ان يعصف بهما امس الم واحد يحرمهما النوم ويجعلهما معاً — على بعد الشقة بينهما — يطالعان قضايا واحدة تتصل بالروح ونوازع الوجدان ، ولقد قضيا بعد ذلك نهاراً مرهقاً كله تعب من اجل ما عانياه في ليلة متصلة الارق . ويعود هو بالذكرى الى انتظار هذه العودة التي كان يريدها حارة عميقة تبعث في كيانه وفاء وطمأنينة ، كان هو الآخر العوبة في كف رياح هازلة عصفت به في ساعة ضعف ، فكان — على كبريائه — يتزل الى هوة الظنون في ترنح جريح . . . كان يود لو كان اصم لا يسمع ، ولكنه سمع ، وهنا فقط احس بانتصار التوافه عليه ولو مرة في حياته ! . . كان في المساء يحدق في النجوم الرجراجة ليتلاقي معها في تحديقها في النجوم ، وكان اذا اطل القمر حانت عنده ساعة النجوى ، فيجلس وحيداً على شاطىء تهدر امواجه يناجي القمر . . . الم تقل له يوماً انها تؤمن بالقمر وتبثه نجواها في ايمان غامر ، ويومئذ فقط احب القمر ، فاصبح القمر قبلته ونجواه ، وترقى به نجواه الى ما كان من امرهما في ليلة من الليالي ، كانا معاً والقمر يومئذ في اتم صورة واروع وجه ، فهمست في اذن القمر

شيئاً لم يسمعه . . . وهمس في اذن القمر شيئاً لم تسمعه ، والحدت النجوى ، ووعى القمر حديث كائنين رأيا فيه سبيلهما الى الله . كان يحب من اجلها كل ما تحب ، وكانت هي تحب من اجله كل ما يحب . . . كانا معاً صورة لانعتاق نفسين من دنيا التراب اي ما هو اسمى واكمل وابقى . . .

واما هو ، فكان كلفاً بطيور المساء ، يؤثرها على جميع انواع ذات الجناح فاذا كانت العشية ، تطلع ببصره الى السماء ، حيث تخطر هذه الطيور الحبيبة الجوابة ، في طوافها المحمود حاملة لهاث الارض الى الافاق البعيدة ، فينظم تلك الطيور قصيدة يحلو جرسها على النجوى ، لتظل معه ابداً في نهاره ، والليل مسرح الفكر المجنح ، ومراح الاماني البيضاء ، والمعبد الرحب الذي يحضن بذراعيه الواسعتين هموم الناس جميعاً . وعندما اقبلت طيور المساء على الاغصان تعريها من اوراقها الصفراء ، معلنة مقدم الخريف ، كان يحس انه لهذا الخريف ثاراً لا يحملها اي ربيع ، اليست عودتها هي عرس الخريف في موكبه الخالق .

لقد اصبح الخريف في نظره فصلاً دونه جميع الفصول ، انه ليصل ما تقطعه اشهر الصيف بين ساحل وجبل عن الف لقاء ولقاء ، ولكنه كان يحمل لعودتهما في هذه المرة عاطفة تنفرد دون العواطف . . . عاطفة منتظر طال به الانتظار على شاطىء اقفر من الاشرعة والزوارق ، وكان طيفها وحده يخطر على قمم الامواج على نحو اسطوري يذكرنا باول عهد الناس بالملاحة في اوائل ايام الدنيا .

ولقد اراد لنفسه ان يصبح كائناً اخر فرمى بعقب سيجارة عنده اذ سمع نقيق ضفدع في مستنقع ، وفرغت انامله منذ ذلك اليوم من سيجارته الحبيبة ، رفيقته اليومية التي يطلع دخانها الواناً من التفكير والتخيل . . . فاضرب عن التدخين واستحال حقاً كائناً بفعل هذا الاضراب المفاجىء . . . اننا نحن البشر مجموعة توافه وعادات ؛ اذا تحكمت بنا كونت شخصيتنا فاصبحت جزءاً منا او بعضنا . . . لذلك احس يوم ترك المرة الاخيرة عقب السيجارة ، انه امام تجربة قاسية تستلزمها ظروف واهنة اثارتها ضفدع عمدا . . . ولكنه امس ، عاد الى سيجارته ، بعد العودة ، عودتها هي ، ليعود اليها كما كان قبل ان يسمع نقيق الضفدع في المستنقع الذي يجاوره ، وكان يستنفرها امس ، فقد جنى عليها كثيراً ، واشاع القلق في حياتها ، ولكنه لم يستطع ان يقول شيئاً ، لقد تكلمت عيناها اكثر مما تكلمت عيناه ، كان في ساعة اضطراب لا مثيل لها ، ومن سوء حظها انه يعرف كيف يخفي اضطرابه تحت ستار من المرح الزائف والابتسامة المصطنعة .

وافترقا . . . ليشهدا ليلاً كله هواجس ، اتراها اغمضت العين هنيهة على ذكريات ملاح . . . لقد فعل هو ذلك اكثر من مرة في بحران من القلق ، لقد دمعت عيناه ، كان يريد لهذا اللقاء ، ان يغدو حديث كل طيب ، فقد برح به الوجد ، لان هذه الدمية قد اعطته نعيما متصلا ، واعطته فجراً جعل حياته كلها نور ، بعد ان كان شخصاً يتنقل على اغصان الحياة تنقل العصافير المهيضة الجناح .

على انه اليوم ، بدأ يرى في العودة طريقه الى وصل ما انقطع ، فلقد تلاقيا في ليل من الالم والهواجس ، واتحدت عواطفهما في المصيبة الواحدة ، فلقد نزلا معاً الى مستنقع واحد . . . لقد خسرا معركة واحدة ، ولكنهما في طريقهما الى نصر واحد ، لقد تلاقيا في الالم . . . وكثيراً ما تلاقيا في السعادة ، والالم اعمق رابط بين نفسين ، واخلص حافز الى اتحاد روحين ! . .

سيكون الانطلاق في هذه المرة قوياً صحيحاً ، يحمل اسارير الجهاد الحق من اجل تحقيق حلم راود الناس جميعاً في سبيل خلق سعادة كاملة ، كان لا بد من ازمة الم تطهرهما من ادران المستنقع ، انهما لن يحفلا بعد اليوم بنقيق الضفادع فلقد عرفا طريقهما الى القمة ، عرفا ان امامهما عقبات متشابهة متماثلة ، تمت كلها الى اصول واحدة .

سيذكران على العمر ليلة الارق والقلق ، سيذكران عاصفة لعبت بهما في غفلة عن الوجدان ، وان صاحبنا ليود لو يهمس في اذنها صلاته لها من اجل الحق والخير والجمال ، وايمانه بها الذي يرتفع به الى ذروات الصفاء ، انه يود لو يقول له انه بدونها لا شيء . . . انه بدونها كائن تافه ، وانه بها لا بسواه كائن فوق الناس ، يفرغ نفسه في نظرته الى عينيها الواسعتين في ضراعة المؤمن وتلاشي الصوفي .

ان قصتهما قصة كفاح عنيد مستمر بين قوى الخير وقوى الشر ، وان نصرهما الحاسم قد تحقق في الالم الذي وحدهما امس ، لقد ارتفعا معاً فوق مواضعات الناس ، في طريقهما الى خمائل الوجد ورياض الفكر والخير .

فيا لهذه العودة ، لقد جاءت مع الالم ، ليصلا هو وهي معاً الى الطريق السوي ، الى طريقهما صوب فجر يفتر اليوم على شفتيها وشفتيه ، بالوان الطمأنينة ودفء اليقين ، فليظل هذا الفجر رفيقهما الى العودة . . . عودة روحين اغتربتا ! . . .

صلاح الاسير

المهنة الشريفة بين ولدي وبيني !

☆

ها قد أقبل موسم البعثات العلمية وتوقدمه شعور الطلاب الذين يريدون التحصيل بطريقة هذه البعثـات ، واردت ان اختبر بنفسي مقدار هذه الرغبة في النفوس ، فـاذا بالعرائض تبلغ المئة وتزيد ، وفيها القادر على التحصيل بنفسه وفيها المحتاج الى معونة البعثة على ان الطالبين كلهم عرضة لمسابقـة وشروط لا بد ان يستكملوها لكي يقدر لهم الانتقـاء ضمن افراد البعثة السعيدة التي ستنكشف عن انوار من العلم جديدة ، وتعود لتحيا حياة جديدة . ومن الثابت ان اوفر الطلاب جداً واكثرهم سعداً ، واظفرهم بالعلامات هم الذين سيكونون في طليعة المتقدمين ، ولكني — في هذه المرة — لم افكر في سفر هذه البعثة وانما فكرت في عملها بعد رجوعها لان الذين يسافرون فيها سيعودون ليكونوا اساتذة يخدمون مصلحة المعارف .

لي ولد اجتاز الدروس الثانوية بنجاح ، واصبحت افكر في توجيهه في طريق الحياة وفي ساعة من الساعات عرضت عليه ان يخرط اسمه في طلاب البعثة الحكومية ، وزينت له السفر للتحصيل ، لكنه اجابني :

— ومهنتي ماذا تكون بعد ان ارجع ؟

— قلت له : اظن انك تكون استاذاً

— نظر الي نظرة ملؤها العنف والتوبيخ وقال :

— اي شيء — فيك — يجعلني على ان أمتهن هذه المهنة . أقيمتك المادية ام قيمتك المعنوية ها ولـك اكثر من سبعة عشر عاماً ، فماذا تركت وراءك ؟ لقد اشقيت نفسك واشقيتنـا ، بعبادتك لهذه المثل العليا الكاذبة التي رحت تؤمن بها ان التضحية واجبة حين يقدر الناس معناها ! اما التضحية بالحياة والسعادة عند قوم لا يدركون فضلها فما هي الا جنون ! ليس الفضل في ان يكون دماغك معموراً بالدروس ، ولا صدرك متخوماً بالعلوم ، وانمـا الفضل في ان تكون رجلاً واقعياً في الحياة تستطيع ان تغتصب نصيبك منها بالطرائق التي يغتصب الناس بها نصيبهم . كيف تريدني ان اشقى حياتي كلها كما شقيت واذا كانت مهنة التعليم شريفة حقاً ، فهل من شرفها ان يكون المعلم بائساً بينما نجد ذئاب المال يغتصبون سعادة الدنيا ، ويشترون سعادة الآخرة اوهل من شرف هذه المهنة ان تكون قيمة المعلم المعنوية لا قيمة لها ، وهل اشد رياء من رياء هذا المجتمع الذي يريد ان يقدس التعليم كتابة ، ويحقره مهنة ؟

لا لا . . . ولن اريد هذه المهنة ، لانني اريد مهنة شريفة تسعدني في الحياة !

— قلت : وماذا تعني بالمهنة الشريفة ؟

— اعني بالمهنة الشريفة كل مهنة تستطيع ان تمنحني السعادة والهناء ، غير ملتفت الى قيمتها المعنوية ، لان الامور تقاس عندنا بالنتائج لا بالوسائل ، فكن غنياً يحترمك الناس لوجود المال عندك مهما كانت الوسائل التي استخدمتها لجلب المال .

وهنا اسقط في يدي لانني لا املك حجة تقارع حجة ولدي الذي لم يتلقن الان درسه عن لساني ، وانما تلقنه عن حالي ، ولكن كلماته كانت كصدمة لي ، لانها جعلت كل ايامي التي قضيتها في الأوهام تذهب عبثاً ، ان ولدي يريد مهنة شريفة ، وهو يفهم المهنة الشريفة بعقلية غير عقليتي . لقد كنت افهم من المهنة الشريفة مهنة يستريح فيها الوجدان ، ويعف الضمير ، اما هو فيفهم من المهنة الشريفة المهنة التي تدر له الربح ، وتوفر له المال بأيـه وسيلة كانت !

الا رحم الله ذلك الزمان الذي كنا نعيش فيه اعفة الضمائر ، نكتفي بشرف المهنة دون النظر الى ما تعطيه من فوائد . ولعن الله هذا الزمان الذي أفسد قلوب الناس فانقلبت القيم ، وتبدلت المقاييس ، وماتت البقية الباقية من صلاح موروث ، لاننا جعلنا همنا ركضاً وراء المادة وعبادة المادة ، ولن يكون ابناؤنا بعد ذلك مذنبين اذا انحرفوا عن طرقنا ، وتمردوا على حياتنا ، بعد ما رأوا بأم العين اية قيمة بقيت لاهل العلم والادب .

تركت ولدي . . وقدمت عنه طلباً لمسابقـة البعثـة ، ولكني لا ادري ! أيقدم على المسابقة أم يصر على عناده في طاب مهنة شريفة ؟

حلب — خليل هنداوي

شعر الشباب في العراق

بقلم مير بصري

☆

في العراق طلائع نهضة شعرية تبشر بالخير الوفير، وتفتح صفحة جديدة في تاريخ الادب العراقي الحديث. يحمل لواء هذه الحركه نفر من شعراء الشباب الذين انشأوا الحانهم اثناء الحرب العالمية الثانية او قبيلها، لكن هذه الحرب، ويا للعجب، لم تكد تمس منهم وترا حساسا، فكأنهم كانوا في شغل عنها بشبابهم ومطامحهم وأهوائهم. على انه من العسير تتبع معالم هذه الحركة الادبية وترسم مناهجها وآثارها، فليس لاصحابها رابطة تجمعهم او تؤلف بينهم، وقد انتشرت اشعارهم في الجرائد والمجلات او بقيت في الغالب مخطوطة لم يقدر لها النشر، وكان حظ القليل النادر منها انه جمع في كتاب. ولكن لا ريب في ان شعر هؤلاء الشباب قد اتسم بالاصالة والصراحة والاخلاص، وخرج على قيود التكلف والتقليد واختط لنفسه مسالك جديدة في صميم حياة العصر.

ان خير نعت لهذه الحركة الشعرية — اذا صح لها النعت — هو انها وجدانية واقعية رمزية. ومن الجلي ان اطلاق اسم الحركة هنا من قبيل التوسع لا غير، فليس هناك حركة منظمة ولا مقررة، بل هي فورة آنية في نفوس فريق موهوب من الشباب تقارب بينهم ارض واحدة وعصر واحد، فأوحت اليهم شعراً متوافقاً في سماته متبايناً في اصواته ونغماته. فمن السمات المشتركة لهذا الشعر صدوره عن منابع صافية من النفس البشرية او الحياة الواقعية، واحتفاله بالمعاني والاداء قبل الكلمات والتراكيب، وتفضيله للبحور والاوزان السهلة والاشكال الشعرية الخفيفة والقوافي الرنانة غير الراتبة، وتنكبه عن مواضيع الشعر التقليدية من فخر ومديح ورثاء ونسيب وهجاء. واذا كان تأثره بمذاهب الشعر الغربي واشعار بعض البلاد العربية الشقيقة كلبنان لا شك فيه، فان ذلك التأثر خفي غير ظاهر، مستشعر غير ملموس.

ان مجال هذه الكلمات العاجلة لا يتسع لايراد الشواهد من هذا الشعر فضلاً عن مشقة طلب هذه الشواهد وادراكها. فاكتفي على سبيل الاشارة لا التمثل، بذكر مقطوعات معدودة، منها هذه المقطوعة للشاعر يحيى الدراجي وعنوانها «اين كأسي»، صورت عالماً نفسانياً يرفرف على سطحه الهدوء والبراءة والرضا بالرغم مما في اعماقه من ثورة وحزن وآلام وآثام:

من لنفسي ورّق الاثم شذاها؟ من لنفسي؟
من لها؟ والعمر يومان غدي الفاني وامسي.
شربت كأسا وثنته وصاحت:
اين كأسي؟

كلما لاح بجدب الليل نجم يتلالا،
جن شوقي، فاذا بي بين احلامي الثكالى
اتهادى، ومن العينين ماء القلب سالا،
واذا بي ظامىء والفم يشدو:
أين كأسي؟

أنا، يا صحبي، آلام وآمال وقلب،
انا كأس، خمرها: شعر وانغام وحب.
ظاهري مرّ ولكن باطني كالشهد عذب.
انا لولا الكأس لاشيء، فقل لي:
اين كأسي

وهذه القطعة للشاعر بلند الحيدري، تذكرنا بشارل بودلير و«ازهار الشر». سرى بين سطورها سحر غريب يبهر ويثير بما جمع من التصاق مشمئز بالتراب الخسيس وعبودية برمة بالذات البهيمية:

لعنةُ التراب

أيّ سرٍّ كروعة الخوف جاثٍ — بين جفنيك موغل في شجونك
كلما اقبل المساء تمطّى — أفعوان الذهول فوق جفونك
فكأن الظلام يسحب دهراً — من امانٍ تحطمت في يمينك
او كأن النجوم تحفظ سراً — قاتم اللون ، قاتلا كعيونك
ايهِ ، يا لعنة التراب ، رويداً ، — ضلّ مسراك في دروب سكونك
فالحياة الحياة قيثار اثم ، — دغدغيها برائعات لحونك
واعصري من مطارف العمر دنيا — تتلوى على سعير مجونك
نحن طين ، واي طين حقير ، — فلم الخوف من خوالج طينك
ستدبّ الغضون شيئاً فشيئاً — كأفاعٍ عقدنَ فوق جبينك
سوف يغفو هذا الشباب وتدمي — قهقهات السنين سمع فتونك
حاملات صحراء فَجر جدوب ، — كم تمطّت على انتفاض ظنونك
وليالي الشباب تغدو دموعاً — وشفاهاً يلعنّ عهد جنونك

ثم هذه القطعة الرمزية للشاعر يعقوب بلبول ، وقد نحا فيها نحواً لم يزل يعتبر غريباً عن روح الادب العربي وان كان جميلا مستساغاً . وعنوان المقطوعة « بلّورتا الساحر » ، وقد قدم لها الناظم بالكلمة الآتية : « شغفت النفس الانسانية بالغيب منذ أقدم ازمنتها . ثم جاء العلم وجاءت المدنية ،فأرغمت على الاكتفاء بالصور الخلابة الظاهرة عما كانت تسعى الى ضبطه من جمال ازلي غير منظور . وما الشعر الرمزي سوى عود النفس الى التطلع الى ما وراء الصور الظاهرة عن طريق الاحساس الشديد بالجليل والجميل » :

أفرغ الساحر في أذنيّ همساً من لسانه
فجرت فيها لحون حملت سحر بيانه
خدّرت ناشط أعصابي وجالت في كياني
فرأيت العجب في بلوريته اذ دعاني :
منها ثار لهيب قاتم شبه السعير
نال من ثوبي وجسمي واحتواني والسرير
قال لي صوت خفيت . لا تخف ، انت سليم
انما النار ستفني شهوة الجسم السقيم :
خبت النار وشاع النور اذ حلّ السنا
يبعث السحر الالهيّ خيوطا سائلة
تطفىء الحرقة في قلبي وتقصي الغائلة
— ساحري ، عيناك للغيب سبيل ، وانا
عابد الغيب وروحي ابداً يعلو سماه
رحبت نفسي وسرّت مذ تنفّست هواه

ولكن الشاعر الشاب ابراهيم يعقوب عوبديا الذى اصدر الآن مجموعة شعرية عنوانها « وابل وطلّ » ليبتعد عن الشعراء الآنف ذكرهم بروحه وطريقته ، وان تقارب واياهم بشبابه واخلاصه في فنه . فهو يتبع الطريقة التقليدية ، وهو شاعر مكثار أصدر قبل سنة ونصف مجموعته الاولى « خفقات قلب » واعقبها الآن بـ « وابل وطلّ » والتقدم ظاهر في شعر المجموعتين مما يبشر لشاعرنا الفتى بمستقبل ادبي زاهر .

وفي شعر الشاعر عوبديا سمات من خصائص الادب الجديد . فهو خلو او يكاد يكون خلواً من مواضيع المدح والرثاء ، وهو بعيد عن التعسف والمبالغة والاسراف . وقد عالج مواضيع وطنية واجتماعية ووجدانيه ، وعبر عن حب الشاعر لوطنه وبلاده ، فاستهلت مجموعته الاخيرة بقصيدة مطلعها :

فيم الملام اذا أحب فؤادي ؟ — انا ان هويت فقد هويت بلادي

لكن خير شعره يقع في باب « آهات النفس » فمنه « نفحة » التي يقول منها :

بكيت ولم أبذل سوى أدمع خرس
فضقت بشجوي وانطويت على نفسي
وصوّرت الاوهام لي ما اخافني
فعذت بربي من ظنوني ومن هجسي
ولما عصاني الصبر حين طلبته
هربت من الصمت البغيض الى الكأس

ومنه « عذاب قلب » ومطلعها :

ايعذلني في صبوتي من وددتهم ،
كأني بحبي قد شذذت عن الناس .

وخلاصة القول ان الشباب العراقي قد اتجه في الشعر وجهة جديدة ، وان كان لا يزال قلق الخطوات ، متردداً بين الاقدام والاحجام . ولقد كان القدماء ينصحون الشاعر الناشىء بالاكثار من مطالعة اشعار العرب ، وكان ذلك كافياً يوم كانت البراعة في الشعر مقصورة على محاكاة الاساليب الفصيحة وطلب جزالة اللفظ وتوليد المعاني الابكار . اما اليوم فلم يعد في تلك النصيحة الغناء . ولا بد للشاعر الطالب للتفوق والتبريز ان تتوافر له عناصر اربعة : اولها السليقة الشعرية فالشعر موهبة وليس ملكة تنمّى بالتربية والتعهد ومن لم يولد شاعراً قد يصبح نظاماً ولكنه لن يكون شاعراً .

وثانيها ، التمكن من اللغة ، فهي أداة الشاعر ، ومن لم يتقن الاداة لا يحسن الصنعة . وثالثها ،سعة الثقافة ، فان الاطلاع على الآداب العربية والاجنبية والالمام بالعلوم والمعارف مما يوسّع مدارك الاديب ويفتح لناظريه آفاقا فسيحة بعيدة . ورابع العناصر الأصالة ، وهي الاخلاص للفن والحياة ، ومجاراة روح العصر ، ومجانبة التقليد والتصنع والمبالغة والابتذال ، والصدور عن ينابيع النفس الصافية التي لا ينضب معينها ولا يكدر غيرها

بغداد — مير بصري

صنم

☆

أمِن حديدٍ انت ام من حجر صبَّك من عينيه وجه القدر
منتصباً وحدك في مقلع الشمس على المرتقب ، المنتظر
انطق فمن صلّب فيك الفكر
انظر فمن حجّر فيك النظر

*

جبهتك العمياء ما مسّها الطيف ولا رفّت عليها الصور
أصمُّ ، لا يسمع صوتاً ولا تترك غمزاتيَ فيه أثر

*

حركت ازميلي في ضلعه لعلَّ لي من ضلعه مستعر
ما قدح الزند ولا هزه الشوق ولا اعيت يديَّ الحفر
أصمُّ . . . ناديت . . . فردَّ الصدى، منحدرٌ يحدو به منحدر

*

يا صنماً والدهر غادر بنا غدّية الظمآن يوم السفر
اسمع . . . فما ضرك لو بحت بما باح اليك . . . السحر
تمّ وارتدّ على صدره وغاب يطويه ، عليك ، الشجر

*

انهض . . فني صحوك لي موكبٌ
ابصر . . فني عينك لي مستقر

الياس خليل زخريا





☆

« كان الليل قد انتصف عندما دلفت الى مخدعها »
« وتجردت من ثيابها وبدت الا من غلالة خفيفة . »
« ولما القت نظرة على المرآة ، واطمأنت الى جمالها »
« فيها . والى الباب وعرفت انها اغلقته : ذهبت الى »
« المائدة الصغيرة الموضوع عليها بجانب السرير قلم »
« وقرطاس وزجاجة من الوسكي . وبعد حين تناولت »
« كأساً ، واشعلت لفافة . ثم امسكت بالقلم »
« وراحت تكتب »

☆

الرسالة الاولى

عزيزي احمد . .

ها انذآ اكتب اليك . وها هي رسائلك الاخيرة أمامي ، اقرأها للمرة العشرين او المائة بعد العشرين . انا نفسي لا ادري . ولكن الذي ادريه، لانني متحققة منه هو انني شكرت لك كل حرف فيها . كما شكرت لك هديتك الغالية التي ارفقتها بها . فقد صرفت امس « الشيك » الذي بعثت به الي على بنك بركليز . وانا اذ اشكر لك هذه الهدية . انما اشكر لك قيمتها المعنوية ، التي تقبلتها على اساسها والتي اتقبل منك كل هدية مماثلة على اساسها . اما القيمة المادية . فأنت تعرف كيف ابغض المادة . واظنك تذكر مدى تألمي من كثرة اغداقك علي . كأني لا اعرفك الا لهذا الاغداق . وكأنني لم احببك قط . وكأني ابداً لا اكاد اموت شوقاً اليك كلما فارقتني يوماً او بعض يوم

لهذا فكرت في ان اعيد اليك الخمسين جنيهاً التي بعثت بها الي امس . وان ارد اليك الشيك ثانية . لانني ظننت انك بمثل هذا الاغداق وبمثل هذه الهدايا تفكر انك تدفع الثمن . . ان كان ذلك يا احمد . فانت واهم . لانك لو وضعت مال الدنيا في كفة و « سعاد » في كفة لما تكافأت الكفتان . ولما قبلت انا حتى مجرد التفكير في هذه الموازنة

انني ما زلت اذكر جيداً تلك الكلمة التي قالتها « جورج صاند » في رسالتها السابعة والعشرين « لالفريد دي موسيه » عندما ذكرها ابان القطيعة بماله الذي انفقه عليها . « لكل تضحية في الوجود ثمن الا تضحية المرأة لانها هي الثمن نفسه ».

لذلك قلت لك انت واهم اذا كنت تعتقد انك تدفع الثمن واقول لك ايضاً انت خاطىء اذا كنت تظن انك دفعت ثمن ليالينا . لان الرجل يستطيع ان يشتري دنيا . . ولكنه لا يستطيع ابداً ان يشتري امرأة . وبالعكس المرأة تستطيع ان تشتري رجلاً بابخس الاثمان . ولكنها لا تستطيع ان تشتري لحظة سعادة واحدة . والا لما اشترت حواء آدم بتفاحة ولم يقو هو على بيعها بجنة الخلد .

لا . لا . انت واهم يا احمد اذا اعتقدت بان في الوجود امرأة تبيع ولو مادة معناها . ومن الخطل ان يظن الرجل ذلك حتى في تلك التي تعرضها لقاء لقمة . او تقدمها لقاء قبلة . . ان كاتبتها من احرص الناس عليها . بدليل ان تلك حرصت عليها فغذتها . وهذه اشفقت عليها فأروتها .

وانا هي الثانية . مكثت طوال عمري ابحث عن ذاك الذي يروي هذا الاديم الظامىء . فلم اجد غير المنهل العذب الذي يترقرق كالسلسبيل من صفاء عينيك . ويسيل كالكوثر من بين شفتيك .

ابداً لم اجد في هذا الوجود على سعته – وكثرة الرجال فيه – ما يهدىء ثورة هذا الاديم الفتي المشبوب غير رنين قبلاتك التي تطبعها على شفتي بمهارة فائقة . على الرغم مني اعترف لك بهذا . لانه لا يوجد الرجل الذي يقدر قيمة اعتراف المرأة .

ومع ذلك انا اعترف . .

. ترى لماذا اعترف . . ؟

انا نفسي لا ادري . .

احمد . تريدني كما تقول في رسائلك ان اذهب اليك مساء « الثلاثاء » . وانا ليس شيء احب الي من ذلك وعلى الرغم مني عدم تلبية هذه الدعوة . وسأنتظر عودتك من الاسكندرية . وارجو الا يطول مكثك فيها . لان الله وحده هو الذي يعلم كيف سأقضي ايام هذا الانتظار .

وبهذه المناسبة . مناسبة سفرك الى الاسكندرية . ارجو ان تشتري لي من عند « جوليان » – « الكاب » الذي رأيناه معاً في الاسبوع الماضي . . انا فعلاً كنت استكثر ثمنه . ولكني وجدت ان – الستين جنيهاً – التي يطلبها فيه ليست شيئاً بنسبة الاسعار في القاهرة . واحب ايضاً ان تعرف انك ان رفضت أخذ ثمنه فسأرفض انا استلامه . فكر في هذا . . وفكر فيه جيداً

احمد . لاحظ ان برد الاسكندرية قارس في هذه الايام . فحافظ على نفسك ، على صحتك . انت لا تعرف مدى آلامي اذا رأيتك يوماً منحرف المزاج .

والى ان تعود سالماً لك قبلات المرأة التي لا تستطيع اية قوة في الارض ان تحول بينها وبين من تحب

المخلصة

سعاد

☆

« وانقضت فترة . افرغت فيها عدة كؤوس »
« واعادت خلالها تلاوة الرسالة على دخان اللفافة »
« المتصاعد . . ولما اطمأنت الى كل حرف فيها . »
« تناولت القلم وراحت تكتب الثانية »

الرسالة الثانية

حبيبي ..... صلاح

اكتب اليك والليل في موهنه الاخير . لانني لم انم حتى هذه الساعة التي تدق الآن دقتها الرابعة بعد منتصف الليل ...

ولم تكن هذه اول ليلة لم انم فيها . يا – صلاح – ولكنها الليلة السابعة ... السابعة على فراقنا ... السابعة على آخر لقاء لنا ... ولست ادري هل انت كذلك ... اوه يالي من امرأة كل جارحة فيها تنطق بالغباء . وتعبر عن البلاهة . اذ كيف اسأل نفسي هذا السؤال مع ان الاجابة عليه كان يجب ان تسبق شفتي .

انك بلا شك تنام ملء جفنيك ... وانت محق في ذلك . لانك لم تحب . ولم تجرب الحب . الا ما اقسى قلب الرجل وما اظلمه ... انك لو كنت تحبني حقاً لما استطعت ان تفارقني ابداً كل تلك الايام السبعة مع ان « طنطا » ليست في الحبشة ولا هي في اليونان . وانما بينها وبين القاهرة ساعة ونصف كما تقول مصلحة السكة الحديد .. وقد كان يمكنك ان تقضي كل لياليك معي . وان تكون كل ليالينا كتلك الليلة التي انفقناها من سبعة ايام .. والتي ما زلت اذكرها .. وما زلت اعيش على ذكراها .. على لحظاتها التي تعدل عمراً بأكمله .. كنت تستطيع ذلك . كنت تستطيع حتى على الاقل ان ترحم شباب امرأة احبتك ولكنك لا تريد .... لك الله .

امامي رسالتك التي تقول فيها انك ستأتي يوم « الثلاثاء » وانا لا ادري كيف سأقضي الاحد والاثنين دون ان اراك .. اما انت فطبعاً تدري ..

ترى مع هذا حوالة على مكتب بريد طنطا « بخمسين » جنيهاً ابعث بها اليك ثمن البذلتين اللتين حدثتني عنهما في الاسبوع الماضي .. ومن قبل ارسلت اليك الثلاثين جنيهاً التي طلبتها فلعلها تكون قد وصلت ... اوه . لماذا لم تطلب مني اكثر من ذلك ... لماذا لم تطلب مني مال الدنيا كلها .. ولماذا لم تكن معي مفاتيح خزائن الارض .

تسألني عن – حامد – فاقول لك انه بخير . وسيظل في الصعيد . وقد اقنعته بانني سأظل في القاهرة ... تعرف انه طيب .. وانه طيب الى حد البلاهة ..

سأنتظرك ظهر – الثلاثاء – وستمكث معي الى صباح السبت حيث تعود الى طنطا مباشرة .. لا تقل لاحد انك ستقضي هذه الايام في القاهرة . فأخشى ما اخشاه ان يشغلك عني صديق ولو خمس دقائق تشرب معه فيها فنجاناً من القهوة .

صلاح سأنتظرك ولست انا وحدي التي ستنتظر .. ان كل شيء حولي ينتظر حتى هذا الصمت الذي يخيم حولي . يخيل لي انه هو الآخر يتهيأ من الآن لترجيع صدى صوتك العذب .

والى ان نلتقي ارجو ان ألهم الصبر .

سعاد

✻

« وانقضت فترة افرغت فيها عدة كؤوس واعادت »
« خلالها تلاوة الرسالة الثانية على دخان اللفافة المتصاعد »
« في التواء هذه المرة . ولما اطمأنت الى كل حرف فيها »
« تناولت القلم وراحت تكتب الثالثة »

الرسالة الثالثة

زوجي العزيز ... حامد

انا لا اظن ان في الوجود – امرأة – شقية مثلي . واي شقاء يا حامد يبلغ شقاء زوجة تحب زوجها كل هـذا الحب. وتوليه من قلبها كل هذا الاخلاص .. ومع ذلك يكتب لها ان تعيش بعيدة عنه . لا تكاد تراه في الشهر مرة . ولا حتى في العام مرات .

حامد .. لو ان ذلك الوزير او الكبير الذي سطر بيده امر نقلك الى الصعيد يعلم انه بهذا النقل قد قتل قلباً .. ويتم جسداً .. واحرق فؤاداً . وكان قلبه من حجر لما عاد والغى امره فحسب. وانما قضى حياته يكفر عن هذه الخطيئة . ومن يدري ربما يحاسبه الله . وتكون له زوجـة فتشقى مثل شقائي . ولكن لا .. لا يا حامد ليس في الوجود – الزوجة – التي تشقى مثل ما اشقى انا. لانه ليس في الوجود الزوجة التي تحب زوجها كحبي.

اكتب اليك والساعة قد بلغت الرابعة صباحاً . وانا ما ازال في مكاني من الشيزلنج بجوار السرير .. السرير الذي لم يعله جسدي مذ ان فارقتني .. وكيف يعلوه جسدي وقد تحول بعدك فراشه الدافىء الوثير الى ثلج متجمد . وحالت دثره الناعمة الملساء – بعدك – الى اشواك كانها تلك المسامير الصدئة المعوجة التي تلقى في الطريق . لذلك فانا انام مذ ان فارقتني في مكاني هذا من الشيزلنج . لم اغيره . لم اغيره . وكيف اغـيره ... كيف . ؟

معذرة اذا كان خطي هذه المرة مشوهاً . شغلتني دموع اجففها عن الرسالة وحروفها .. حامد . لنا الله . ولله تلك الليالي التي تقضيها بعيـداً وحيداً في غربتك .. ولله ايضاً تلك الدموع التي تذرفها عيناي كلما برح بي الشوق الى طلعتك .

لا تكتب لي قبل نهاية الاسبوع . فسأسافر صباح «الثلاثاء» الى دمنهور لازور امي المريضة هناك . ثم اعود صباح السبت .. ترى هل ستموت امي كما مات ابي منذ اعوام . ؟

ترى هل سأفقد كل من لي . ؟

ليته يكون ذلك . فقط تبقى انت لي .

وصلتني رسالتك التي بها – العشرون جنيهاً . وقد انفقتها عن آخرها بدل السكن وحاجيات البيت . ولكن ثق انني لست في حاجة الى غيرها . وماذا اعمل بها؟

انني اريد .. !

انني اريد .. !

اريد . . ماذا

اريدك بجانبي . زوجتك

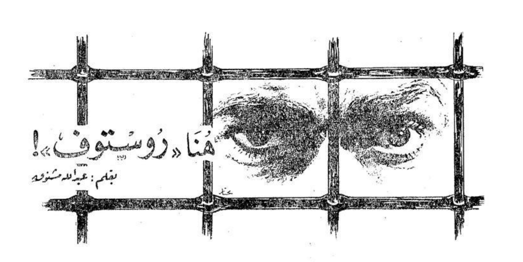
سعاد

☆

« ولما خلصت من رسائلها الثلاث وأوت الى السرير »
« وغاصت في دثره الوثيره . كان الليل قد ادبر والنهار »
« قد اقبل .. والزجاجة قد فرغت .. والفـائف »
« قد احترقت .. »
« اما الرسائل الثلاث . فقد كانت في طريقها تجد »
« غير هازلة لتروي انباء يوم الثلاثاء »

القاهرة امين يوسف غراب





قرأت في كتب الادب انباء العشاق المعاميد ، وخبرت بعضها بنفسي ايام الغواية ، فرأيت فيها العجب فنوناً والواناً ! رأيت العاشق الموله المدنف يطوف بديار ليلى او سلمى يلثم الجدران لشدة شوقه وفرط وجده :

أمر على الديار ديار ليلى	أقبل ذا الجدار وذا الجدارا ..
وما حب الديار شغفن قلبي	ولكن حب من سكن الديارا ..

وسمعت بمجنون عامر يعشق البيد ويهيم بالمها ، احب الاولى لانها مصبوغة بصور ليلى ، وهوي الثانية لانه وجد في عينيها عيني حبيبته ، فصاغ فيها درراً من قصائده .. ورحم الله شاعرنا شوقي حيث يقول بلسان المجنون :

غرت ليلى من المها	والمها منك لم تغر .
حبب البيد أنها	بك مصبوغة الصور
لست كالغيد لا ولا	قمر البيد كالقمر !

وسمعت بعنترة عبس يعشق السيوف ويود تقبيلها لانها لمعت كثغر عبلة :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل	مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لانها	لمعت كبارق ثغرك المتبسم !

وقرأت شعر ذلك الاعرابي الذي احب اعداءه لانهم انداد حبيبته في الظلم وهذا منتهى الغرابة :

اشبهت اعدائي فصرت احبهم	اذا كان حظي منك حظي منهم
واهنتني فاهنت نفسي صاغرا	ما من يهون عليك ممن يكرم

وقرأت الشيء الكثير عن اولئك الهواة « المفاقيع » الذين تضاءلت في نظرهم الدنيا العريضة بمباهجها التي لا تحد ، الى كتاب مخطوط او طابع بريد او زر او حشرة ، فاذا هم يقفون امام كتاب نادر او طابع نفيس لو فراشه وقفة الفتى المتفتح للحياة أمام حسناء كاعب ، بل قد يكون في هذا الكتاب النادر او هذه الحشرة من السحر والاغراء — في نظر الهاوي — ما لا يجده الفتى في عيني الحسناء اللعوب ! ..

اجل سمعت بهذا كله ، وقرأت عن هذا كله ، فلم اسمع يوماً ان امرءاً هام بالباب ، او قال فيه شعراً او نثراً ! ..

نعم ! الباب ! هذان اللوحان من الخشب ، المصراعان ، وقد ركزا في حاجب الجدار بمفصلات من الحديد ، تعبث بهما الريح احياناً فيسمع لانطباقهما دوي يزعج الاذان المرهفة ، يتفارقان في النهار ويسكن الواحد منهما الى الآخر في الليل يشدهما رتاج او قفل !

هذا هو الباب ، فاين السحر الذي يجذبك ويملك عليك مشاعرك فتقف امامه هائماً مشدوهاً متيماً تكاد تلتهمه ببصرك ؟

لقد كنا في معتقل « الميه وميه » وراء الاسلاك الشائكة نعشق الباب ، فترانا نتجول في ارجاء السجن برهة من الزمن واذا بنا نتجمع كلنا — عن غير قصد — حول الباب كأننا على ميعاد . ثم نتفرق لنعود الى الباب ثانية ، وهكذا دواليك ، فانظارنا

شاخصة طوال النهار نحو هذا الباب المرصود ، نحو هــذين المصراعين ، ففيهما سحر عجيب لا يدركه الا من دخل السجن وفقد حريته !

اليس هذا الحاجز الخشبي هو الفاصل المادي بين الحرية والقيد ؟ فخلف هذين المصراعين الانطلاق والنور والحياة ، وخلفهما من الجهة المقابلة غياهب السجن ومرارة الحرمان وآلام الكبت والعنت والارهاق والموت !

من هذا الباب تدخل اسباب المعيشة المادية من طعام وشراب ومنه نستمد غــذاء الروح فنستمتع مرة في الاسبوع بنفر من من الزائرين الذين لم يتنكروا لنا ولم يتبرأوا منا ، ومنه تأتينا الرسائل والانباء وقوافل المعتقلــين الجدد نستقبلهم مواسين معزين . . ومن هذا الباب تأتي انباء الفرج والافراج نتلقفها بلهفة فنهنيء اخواننا الطلقاء ، متظاهرين بالبهجة والفرح ونحن نخفي طي الضلوع ناراً تتأجج بالخيبة والغيرة والحسد . . . ما العمل هذه هي الحقيقة ! . .

وعلى هذا الباب نودعهم قائلين لهم ما قاله يوسف لصاحبه في السجن حين افرج عنه عزيز مصر : « اذكرني عند ربك ! » فيجزينا الله شر عملنا اذ سولت لنا انفسنا ان نطلب الفرج من غير الله . . فتطول مدة اعتقالنا كما طال سجن يوسف !

هذا الباب المرصود ، فيه سحر عجيب لنا معشر المعتقلين فترانا نقف عنده وقوف الاقدمين على الاطلال ، او « وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه » ، وننتظر ان يفك الرصد . . . ولكن هيهات ! . . .

وذات يوم بينما كنا على الباب ننظر عبره الى طريق السيارات الملتوية كالافعى التي تصل « الميه وميه » بصيداء ، واذا بسيارة تقف وينزل منها رجل غاية في الاناقه ، حسن المنظر ، بدين ، متوسط العمر ، يحمل بيديه حقيبتين من الجلد الفاخر . . ثم يتبعه موظف الامن العام — هذا الجلاد الذي قضت عليه مهنته ان يوافي السلطة بالتقارير والوشايات ليمد المعتقل بالمعتقلين — فعرفنا على الفور ان الزائر الكريم زميل جديد ، فاقتربنا منه نوآسيه وحملنا عنه حقيبتيه فبادرنا بقوله :

« الله بالخير ! »

فعرفنا من اللهجة والتحية ان ضيفنا هذه المرة من ابناء العمومة في الرافدين وان العراق اصبحت في عداد الدول الممثلة في هذا المعتقل العجيب الذي يضم نساء ورجالاً من مختلف اقطار اوروبا الوسطى وتركيا وسوريا ولبنان ما عدا مصر والعراق !

وبعد حديث قصير علمنا ان الزميل ينتمي الى اسرة عريقة في بغداد تولى احد افرادها رئاسة الحكومة وانه كان قادماً من تركيا فالقي القبض عليه وهو يجتاز الحدود قرب حلب واقتيــد الى « الميه وميه » . وكانت حقيبتاه تنمان عن ولعه بالسفر والسياحة فقد الصقت عليها اوراق مختلفة الالوان تحمل اسماء اشهر فنادق اوروبا . .

لم نجد للضيف مكاناً في الغرف الست التي يحتلها زهاء مائة معتقل رجالا ونساء ، فلم يبق امامه سوى الرواق ينام فيه ، فأعددنا له فراشاً ووسادة ولحافاً وجلسنا حوله نحتسي فنجاناً من القهوة بعد العشاء .

وكان صاحبنا من هواة لعبة « البردج » بالورق فجعل من احدى حقيبتيه مائدة خضراء وطفقنا نلهو بهذه الساوى العقلية البريئة ، ونتساقط احاديث السياسة والحرب !

وكان الالمان اذ ذاك في اوج انتصارهم ، يتنقلون من فوز الى فوز ، وكانت معركة القرم قد بدأت ، وكان الحصــار حول « روستوف » ، فسأل احدنا الزائر العراقي عن حقيقة الحال في ميادين القتال — بوصفه قادماً حديثاً من تركيا المحايدة — فما كان من صديقنا الا ان اخرج من جيبه صندوقاً من التبغ وتناول قلماً واخذ يرسم على قفا العلبة خريطة المواقع الحربية والنقاط الستراتيجية ليحدثنا عنها حديث الخبير بهذه الشؤون . . ثم قال بصوت عالٍ مشيراً الى الخريطة كأنه قائد يخاطب اركان حربه :

— هنا « روستوف » ! . .

وكان في المعتقل اشخاص مشبوهون لم نكن نركن الى صدق طويتهم واخلاصهم ، فكان يخيل الينا انهم عيون وارصاد للسلطة ، فكنا نتحاشى الاختلاط بهم ما استطعنا . . ولكن واحداً منهم رأى الخريطة من بعيد وشعر ان الحديث لم يعد يتنــاول لعبة « البردج » فاقترب منا يسترق السمع ، فلم يرُق لي ذلك . .

وتناولت على الفور صندوق التبغ والقلم من يدي الضيف العراقي ، وقلت موجهاً كلامي الى البغدادي اغمزه سراً بطرف عيني ، لأغير مجرى الحديث ، مشيراً الى الخريطة بيدي :

— هذا نهر دجلة . . اليس كذلك ؟ وهنا الرصافة . . وهنا الكرخ . . وهذا جسر المغفور له الملك فيصل . . فأين « بارك السعدون » الجديد ؟ . .

ولكن العراقي نظر اليّ شزراً — وقد فهم كل شيء — وانتزع

الخريطه من يدي انتزاعاً عنيفاً واتجه بحديثه نحو الشخص الذي جاء يتنسّم انباءنا وصاح في وجهه بقوة وهو يكاد يفقأ عينه بالقلم :

— هنا « روستوف » . . . هل تفهم ؟ . . وهنا يقف الجيش الالماني الظافر . . . وهنا الدبابات . وو . . .

وعبثاً حاولت من جديد ان ابحث عن «بارك السعدون» وعن جسر الملك فيصل على علبة السكاير . . ولكن صديقي العراقي يصر على اقامة « رقبة جسر » على ساحل القرم تمر عليها الدبابات الالمانية الى العاصمة . . .

فاسقط في يدي وانتهت السهرة في تلك الليلة على اسوأ حال .

وفي اليوم التالي غادرنا ضيفنا العراقي الى مستشفى «اوتيل ديو» بعد ان اختلى بضع دقائق بطبيب المعتقل الذي امر بنقله حالا الى بيروت .

وعلمنا فيما بعد ان صديقنا البغدادي — بعد ان قضى زهاء شهرين في المستشفى — ارسل كتاباً باللغة الانكليزية الى دائرة الامن العام يطلب فيه الاجتماع بموظف كبير مسؤول ليدلي اليه « بمعلومات خطيرة » . . .

« I have a very important thing to tell you ».

ولم تكن ادارة الامن العام تنتظر خيراً من هذه الرسالة يبعث بها معتقل ، ويطلب فيها الافشاء بانباء هامة فلعلها تميط اللثام عن شبكة الجاسوسية الالمانية في الشرق الاوسط فاوفدت على الفور ضابطاً كبيراً يرافقه مساعدان ودخلوا حجرة العراقي في المستشفى وخاطبه رئيسهم بالانكليزية :

— أأنت كتبت هذه الرسالة ؟ — نعم !

— وهل انت مستعد للادلاء بالمعلومات الهامة التي تعدنا بها في رسالتك ؟ — نعم !

وعندئذ جلس الضباط الثلاثة برصانة وهدوء حول منضدة صغيرة وتناولوا الورق والقلم وقالوا :

— تفضل ! هات ما عندك ! فكلنا اقلام كاتبة !

فقال صاحبنا بانكليزية متوسطة الجودة :

— انا كما تعلمون مريض ومعتقل في بيروت . — نعم !

— وزوجتي تقيم الآن في استنبول !. — نعم !

— انا لا استطيع ان اعيش بدونها وهي لا تستطيع العيش بدوني ، فاما ان تسمحوا لي بالذهاب اليها واما ان تسمحوا لها بالقدوم الى بيروت. — نعم ! وبعد ذلك ؟

— هذا كل ما عندي ! لقد انتهيت !

— ولكن اين المعلومات الهامة التي تود الادلاء بها الينا . .

— وهل تريدون اهم من هذه الانباء ؟ هذه معلومات خطيرة جداً بالنسبة اليّ . . واذا كنتم لا تعتبرونها مهمه من ناحيتكم فذلك شأنكم وحدكم ! .

وانتهت المقابلة وخرج الضباط الثلاثة شاكرين . .

وفي اليوم التالي كنا على عادتنا متجمعين حول الباب المرصود في المعتقل وانظارنا شاخصة في الفضاء نحو الطريق الملتوية البعيدة الصاعدة من صيداء ، واذا بسيارة تزحف نحونا في بطء تجر وراءها جيشاً من الغبار ، ثم ما تلبث ان تقف على الباب . . واذا بصديقنا البغدادي يطل منها وتطل معه حقيبتاه الفاخرتان ؛ واذا بالمعتقلين يصيحون بصوت واحد :

— هنا « روستوف » !

ولكن نجم هتلر كان قد مال الى الافول ، وجيوشه كانت قد ارتدت عن ستالنغراد ، وكانت بداية النهاية . . .

فيقبل صاحبنا العراقي نحونا يخطى متثاقلة ويقول لنا باستسلام وقنوط :

— لا ! بل هنا « الميه وميه » . . .

ويغلق الباب المرصود . . .

عبدالله المشنوق

ردها يا زمان

☆

القيت في الفقيد حلمي الاتاسي عضو مجلس النواب السوري يوم حفلة الاربعين التي اقيمت له في ١١ — ١٠ — ٦٦ بمدينة حمص بلد الفقيد

☆

كان لي في قرارة الاقداح — ما اروّي به غليل جراحي
رب نجوى على الطلا ، همستها — في خيالي ، حناجر الاتراح
لطمت في ذهولها جبهة الخطب ، وارخت على دجاه صباحي
ومضت بي عن عالم ، ملء جنبيه حنين الاشباح للاشباح
ساوة سلها العياء ، فلا الحلم ازاري ولا العزاء وشاحي
ردها يا زمان ، واخلع على دنياي وهمي ، واكبح عليها جماحي
حسب عمري ان استرق على كفيك عزي ، واستخف طماحي
وأزجي الخطى بضحكة سكران ، واطوي المنى بدمعة صاح
اين ؟ لا اين ؟ ندوتي ونقالي — وصدى مزهري ونفحة راحي
والصحاب الصباح ، والزهو رفاف الحواشي على الصحاب الصباح
يسأل القلب عنهم وجلال الصمت في مسمعي ، رجع نواح
رد لي يا زمان سلواي ، فالداء دفين والعيء غير متاح
ربما حار في وجومي حبيب — كان يشجيه في الحياة صداحي
مات ! من مات؟ مات حلمي ، ومن حلمي؟ اجيبي . تكلمي يا جراحي
قد يحن المحب في يقظة الذكرى — لاطياف حبه المستباح
حلمي ! يا بسمة المروءة والاحسان والنبل والوفى والسماح
اصحيح ان لن اكحل جفني — بنعمى شبابك الوضاح
كم مشينا معاً ، وخلف خطانا — مخلب الشوك او خدود الاقاحي
نحمل المجد والصبا وكلا الحدنين — لم يشك غصة الملتاح
فيد بالدمى لعوب ، واخرى — يجتني كل ممتع فواح

او ادت المنى؟وعيشك مخضل ومغناك باسق الادواح
ما انتهى بعد ، ما بقلبك من حب الخير ونزعة لصلاح
املت الادلاج، حين طغى الليل. على كل كوكب لماح
ورايت الرجال اسراب اهواء عجاف وامنيات وقاح
تنحر الكبريا نحراً على اعتاب عيش مدنس فضاح
وتصم الاسماع عن صوتك الداوي وتصغي الى الهوى الملحاح
فلويت العذار عنها ، واغضيت ذبيح الرجاء نضو الكفاح
أرأيت كيف ترتمي متع الدنيا على واحة الردى المجتاح
وتجو الحياة نعش صباها في صباح الاعراس والافراح
مالها ؟ ما تزال تخترم الحق على كل غدوة ورواح
عظة الموت لا تمر على قلب غوي ولا ضمير اباحي
رب . عفواً لقد ظلمت سراها في ضروب من الضلال فساح
ما عليها ؟ وخمرها من خوابينا اذا عربدت على الاقداح
فلتكم الافواه . ان شاءت الشكوى انطلاقاً من الضلوع القراح
أي شعب ؟ يعطي السلاح الى الباغي ويشكو من وخز ذاك السلاح
قد يعف الجزار لو لم تمرغ تحت اقدامه رقاب الاضاحي

شهد الله ان وفيت بما عاهدت في موقف النضال الصراح
وتغاضيت عن وشاية واش وتصاممت عن اساءة لاح
وابيت الحكم الشهي ، فلم تلمحك فيه فراشة المصباح
وبذلت الحياة في دفع ضيم وهدى حيرة وفك سراح
فإذا انت ، ذكريات غوال واغاني المقيم والنزاح
ليس تطوى ، كما طويت وراء السحب البيض في مهب رياح

* * *

يا حبيبي اسامع في حنايا القبر نجوى الأشباح للارواح ؟
لهف نفسي . . كم بحة في لهاتي مالها في نشيجها من براح
نم على الترب . . لا مزارك شاف ، ما اعاني ولا خيالك ماح
كيف آتيك بالنجوم وسادا ؟ والليالي مقصها في جناحي

حلب عمر ابو ريشه

للشاعرة الأمريكية : ساره تيسدبل

عن ديوانها أناشيد الغرام

☆

الفرار

انظر وراءك بعينين شيقتين
واعلم انني ساتبعك .
اسمُ بي الى حبك
مثلما يسمو النسيم بالسنونو .

*

ليكن فرارنا بعيداً
تحت الشمس والمطر المنهمر –
ولكن ما صنيعي اذا سمعت
حبي الاول يناديني مرة ثانية ؟

*

اسندني الى صدرك
مثلما يسند البحر الجريء الزبد .
خذني بعيداً الى التلال
التي تخفي منزلك .

*

السلام سيغطي السقف ،
والحب سيغلق الباب .
ولكن ما صنيعي اذا سمعت
حبي الاول يناديني مرة ثانية ؟

الجزر

حين يمر النهار
ولا ارى وجهك ،
فالحزن القديم الثائر
ينسل من مكمنه .

*

ان يومي قفر محطم ،
محروم من النور والغناء ،
هو شاطيء بحر قرير ، عاصف الريح
يئن طيلة النهار .

*

الى الساحل القفر عند الجزر ،
الى الساحل العاري ، بصخوره وندوبه ،
هلم عائداً كالبحر ، مع الغناء
وضوء ملايين النجوم .

☆

ريح ايار

قلت : (لقد اوصدت قلبي
مثلما يوصد الفرد باباً مفتوحاً ،
ليموت الحب جوعاً فيه
ولا يعود يزعجني) .

*

ولكن هبت فوق السقوف
ريح ايار الجديدة الندية ،
وعلت نغمة مقبلة من الرصيف
حيث تنبعث موسيقي معازف الشارع

*

ابيضت غرفتي بشعاع الشمس
وصرخ الحب بي هاتفاً :
(انا قوي ، ساحطم قلبك ،
ان لم تحرريني !)

بصرة   رزوق فرج رزوق

من سفر اسفاري

في عليين وادي الانجادين

بقلم
الدكتور عبد الرحمن بدوي
مدرس الفلسفة بجامعة فؤاد الاول

☆

سان مورتس

سان مورتس في ٢٧ – ٨ – ١٩٤٦

اطياف من النسيم الرطيب تنحدر من قمم الجبال المحيطة بالوادي تعلوها شذرات من الثلج الرقيق . والبحيرة الصغيرة تركع تحت اقدام المدينة الانيقة التي تطل عليها من شرفات فنادقها الفخمة المتراصة ، تكاد تستغرق المدينة كلها – وهل في «سان مورتس» غير الفنادق وما ينتسب الى الفنادق؟

طلبت المشتهى فاستحال علي ، او بالاحرى حال بين تحقيقه وبيني جمال هذه المدينة البضة الملمس – وارجو الا تعد هذا مجازاً فلكل مدينة ملمس خاص ، وسان مورتس ذات ملمس بض كأنها ساق غيداء ناصعة البشرة مشرقة الوجنتين . ذلك اني اردت بلوغ سان مورتس من « برن » ثم العود الى هذه الاخيرة في نفس اليوم مع ان المسافة يستغرقها القطار في قرابة ثماني ساعات . لكن السحر الرطب الشائع في سان مورتس وما حولها هو الذي احتجزني فابقاني بها ليلة كاملة وسحابة نهار .

وهاأنذا أراني مضطراً الى تكرار صفة « الرطب » ثلاث مرات ، ولن امل من تكرارها في حديثي عن هذه المدينة . وأقصد بالرطب هنا « الرطب الوضيء » ، لا ذلك « الرطب المعتم » الذي يستروحه المرء في بيوتنا الشرقية العتيقة .

الرطب الوضيء هو ذلك الذي تحس به في اشراقة الفجر على ضفاف النيل في قرانا المصرية في شمال الدلتا ، وهو ذلك الذي تتلمسه على خد الطفلة الممتلئة وهي تبسم للدنيا في مطلع الحياة ، وهو ذلك الذي يدركه العاشق وهو يربّت على الحبيبة وهما جالسان على العشب في سكون الغاب الجبلي

وهو ذلك الذي يدركه المرء سماعاً وهو يصغي الى النغمات البلورية تنبعث من الحان كالحان « الرپسودية الهنغارية » الثانية لليست ، او مقاطع « السمفونية السادسة » لبيتهوفن ، وهو ذلك الذي تستروحه في الشذى السمين المنتشر عن اكاليل من النرجس الغض والندى يعلوه .

هذا الرطب الوضيء بكل الوانه تشعر به ملء حواسك في كل نسمة تفوح في انحاء سان مورتس . تعال معي الآن الى الطريق الضيق الذي يعانق الربوة القائمة عبر البحيرة على الشاطىء المواجه للمدينة . الساعة ساعة اصيل بعد نهار فاتن صحو ، اللهم الا من

صفحات صغيرة من السحاب الابيض الوديع . والطريق يستدير حول الرابية في عناق ملتو ولكنه حار مشبوب ، وعلى طوله تناثرت على مسافات غير قصيرة مقاعد من الخشب الجبلي المطلي بالاحمر الفاتح . وعن يمين وشمال – علواً وسفلاً – توزعت السفوح اشجار معتدلة القوام من الشوح والصنوبر الهرم ، ولولا سموق قامته لبدت عليه الشيخوخة بكل جلاء ، اما من اثر الزمان او من اثر البرد ، او بالاحرى من كليهما معاً .

انا وحدي مع الغابة وحدها . وكل ما حوالي يدعو الى السكون الرهيب ، لولا هذه الابتسامات الوضاءة التي تنثال علينا – الغابة وانا – من القمم الغربية ، فتشيع في جونا بهجة ساجية ، ولولا هذه الازاهير الصغيرة المتعددة الالوان ، تنطبع عليها قبلات الشمس راحلة او بسبيل الرحيل .

سلزماريا في ٢٨ –٩– ١٩٤٦

لم يكن هدفي الاول من ارتياد « وادي الانجادين » ان ازورسان موريتس ، بل كان الحج الى مقامات نيتشه في هذا الاقليم الذي فتن ذلك الفيلسوف الشارد حتى جعله يمضي احفل فترة من حياته الروحية متنقلاً في ربوعه وبين مغانيه ، وعلى رأسها كلها قرية سلزماريا . لهذا لم اكد انزل سان موريتس حتى كانت عيوني تطلع من بعيد الى سورلي ، وسلزماريا وشبه جزيرة شاستيه .

دخلت سان موريتس في ذبول النهار بعد رحلة مضنية طويلة فقطار الانجادين قليل اسباب الراحة ، ناهيك بالترف ، على خلاف الكثير من قطارات سويسرة ، مثله في هذا مثل اغلب القطارات غير الرئيسية في المناطق الكبيرة الارتفاع ، فلم يكن في وسعي ان امضي منها في التو الى سلزماريا . بل امضيت ثمت ليلة هادئة لا شيء فيها يستحق التسجيل ، اللهم الا اني امضيت بعضاً من الوقت في مقهى عتيق بالقرب من الفندق الذي نزلت به ، فندق « روزاتش » . وفي هذا المقهى حاول اصحابه ان يقدموا للناس صورة من صور المقاهي القديمة في العصر الوسيط وبداية العصر الحديث : كهف ضيق ذو سقف منخفض كسيت جدرانه بالخشب الوردي العتيق ، وتدثر ندله من الفتيات بملابس وطنية ذات طراز قديم بديعة الالوان صارخة الاضواء ، وفيه موسيقى ناعمة يصدح بها عازف ممتاز على الكمان . فهو اذاً من نوع تلك المقاهي الكهفية التي نشاهد نظائرها في باريس مثلا ، ككهف «او بليت» بجوار كنيسة سان سفران .

لبيك ، لبيك ! ايها الصباح المشرق ! فانت الذي ستقودني الى مغنى نيتشه في سلزماريا . فما وافى الصباح الباكر ببسماته الوردية حتى هرعت بالسيارة الحافلة الى سلزماريا .

تركنا بحيرة سان موريتس ومضينا منها الى بحيرة سلز ، فتراءت امامي صور متوالية من الجبال العاتية المتوجة بعمائم الثلوج ومن الامواه الزرقاء الصافية في البحيرة الراقدة ، ومن الوعورة المتحدية في انقباض المجهول .

وما نزلت من الحافلة « اوتوبيس » حتى اسرعت مهرولاً في الطريق الطويل الذي يخترق قرية سلزمايا طولاً ، وبعد مائة متر تقريباً من موقف الحافلات وجدت نفسي قبالة منزل متوحد بين المنازل ، يبعد عشرين متراً عن ذلك الطريق . وسرعان ما تعرفته : انه البيت الذي أقام به نيتشه في سلزماريا . فاقتربت منه ، وصدق تعرفي اياه – بعد ان عرفته من مشاهدة صوره من قبل – ، فقد وجدت فوق بابه على الواجهة لوحة كتب عليها هاهنا : « فكر نيتشه والف من سنة ١٨٨١ الى سنة ١٨٨٨ » .

البيت من طابقين ، صغير الحجرات ، رمادي اللون ، ضيق النوافذ ، يكاد يتكىء على قاعدة الجبل المشرف من ورائه . قرعت الباب فاطلت من النافذة العليا فتاة في زي الخدم ، سألتها هل في الوسع زيارة البيت ، فأجابتني الى سؤلي ، وسرعان ما صعدت بي الى الحجرة التي كان يسكن فيها نيتشه ، وهي اول حجرة عن يسارك في الطابق الاعلى . وكان مستأجرها – لحسن الحظ – غائباً في تلك اللحظة ، فاستطعت دخولها ، فوجدت امامي غرفة ضيقة ضيقاً ، طالما شكا منه نيتشه في رسائله وبها نافذة واحدة تطل على الطريق الجبلي الصاعد ، ويمكن المرء ان يستشرف منها الى منظر – على ضيق افقه – لا يخلو من الروعة وعمق التأثير .

ولا تزال الغرفة على حالها كعهد نيتشه بها ، اللهم الا الاثاث فلم يبق منه بعد غير خزانة ملابس متطوعة في الجدار المغطى بالخشب ، ان جاز لنا ان نسمي هذا اثاثاً ، لذا بقيت انظر في الغرفة بكل امعان ، عساي ان اعثر على اثر – مهما يكن ضئيلاً – لفيلسوفنا المتوحد في هذه الغرفة . ورحت التي الاسئلة تلو الاسئلة على الخادم علها ان تدلني على شيء من ضالتي . لكن في غير جدوى – هنالك سألتها عما اذا كان قد بقي احد ممن كان بالمنزل ابان مقامه به ، فحدثتني عن خالتها العجوز التي عرفت نيتشه ، وكانت صغيرة

في العاشرة من عمرها ووددت لو رأيت هذه العجوز حتى اظفر منها ولو باثارة ضئيلة من ذكرياتها عنه . بيد ان الفتاة حدثتني قائلة : ان خالتها لا تكاد تذكر شيئاً خليقاً بالتسجيل ، لانها كانت في سن صغيرة ، فكل ما تذكره اليوم هو ان نيتشه كان قاسياً جاداً جافاً مع الاطفال ، لا يسمح لنفسه بالتبسط اليهم . وهذا سبب آخر في ضآلة ما لديها عنه من ذكريات .

تحسرت على ضياع هذه الآثار . فبينا بقي القسم الاكبر من آثار فجنر في بيت تربشن – على النحو الذي بيناه من قبل – لم يبق شيء من آثار نيتشه في هذا البيت . فيد العناية التي امتدت برحمتها الواسعة الى الاول ، قبضت وغلت عن ذلك المتوحد السافر من الرحمة . افهذا جزاء وفاق بما صبه من لعنات عليها ؟ انها اذاً ستكون قد انتقمت لنفسها ابشع انتقام . ام هو الفن ما اكثر المعجبين باصحابه ، بينما الفلسفه لا تحيا الا على صفوة شاردة من العقول العالية الانفاس ، وقليل ما هم ؟

لكن دعنا من هذا البيت الضيق – فما هو الذي اثر في نيتشه – وتعال الآن الى مأواه الحقيقي الفسيح في جنة الطبيعة الرائعة في ذلك المكان المسمى « شبه جزيره شاستيه » .

شبه جزيرة شاستيه لسان من الارض الجبلية يمتد في بحيرة ساز ، اتى اسمه من قصر عتيق يقوم عند مدخله ، فالكلمة « شاستيه » باللغة الرومانسية معناها « قصر » . ومن فوقه غابة منفرجة الاشجار السامقة من صنوبر وحور ، فضلاً عما اكتسته الارض من عشب عتيق . وخلاله يمتد طريق يدور حوله في التواءات بديعة تمسك بخاصرة شبه الجزيرة في لهفة وحنين .

سر بنا اذن في هذه السبيل ، مستروحين عبير الصنوبر العريق في هذا الصباح الفاتر الانداء . الزائرون بين راقد على العشب او جالس على المقاعد المتناثرة على طول الطريق ، او مستضح للشمس في الجانب الشرقي . والازاهير الجبلية زاهية الالوان لاذعة الشذى ، تلوح عليها مخايل الهرم من برودة الاقاليم .

وما بلغت منتصف السبيل اللزب حتى وجدت نفسي امام صخرة عاتية رائعة الطلعة ، ما تكاد تقف امامها حتى يخيل اليك انها تريد ان تتلو عليك صحفاً مطهرة من الوحي العلوي . وسواء اردت ام لم ترد فأنت مضطر الى الاجابة عن هذا الاستفهام العميق الصارخ على جوانبها المدببة : كدت اجثو أمامها من جلالتها ، وكأني امام معبد « دلف » اتهيأ لتلقي الوحي كما تلقاه نيتشه منها من قبل ، وقربت منها فرأيت القوم قد نقشوا عليها قصيدة نيتشه المشهورة في « زرادشت » ، التي تقول :

ايها الانسان انتبه !

ماذا يقول منتصف الليل العميق ؟

... ...

واذا كان « زرادشت » كله قد كتب تحت وحي هذه الصخرة العاتية ، فلا شيء فيه ادق في التعبير عما توحي به الصخرة من هذه القصيدة البالغة العمق ، التي ترن اصداؤها في كل نغمة تصدر في هذا المكان الشعري الفتان .

سلس ماريا   عبد الرحمن بدوي



رجع جيرازم الى موسكو في وقت نضبت فيه مصادر الرزق وشحت، وعمت البطالة وتناثر العاطلون في طرقات المدينة يتسكعون. وكان عيد الميلاد مقبلاً، ومعظم الناس يسعون للحصول على دراهم قليلة تهيء لهم شراء ما يحتاجونه من هدايا العيد ولوازمه. ولكن فتانا صاحب الحظ العاثر، ظل يطوي المدينة حياً حياً وشارعاً شارعاً مدة طوت ثلاثة اسابيع، سعياً وراء الرزق الضئيل دون ان يهتدي اليه.

كان «جيرازم» الى عهد قريب يقطن موسكو؛ وكان قد غادر قريته منذ الصغر ليقطن في العاصمة حيث عمل في حداثته غاسلاً للزجاج في معمل خمور ثم خادماً في احد البيوت، وعاملاً في متجر خلال السنتين الاخيرتين. وقد اضطر الى ترك العاصمة والرجوع الى قريته لاسباب عسكرية، الا انه لم يطق جو الريف الغريب عنه، فعاد الى موسكو مرة ثانية مؤثراً جوب الطرقات واحصاء الحجارة المنتصبة، عمارات ضخمة شاهقة؛ على البقاء في القرية.

وشعر جيرازم بعد التسكع الطويل بآلام نفسية ثقيلة الوطء، وبثورة عنيفة تعتمل في صدره، واستنكر ان يصبح عالة على المجتمع. وكأن الاقدار شاءت ان تلقي امام عينيه قبساً ضعيفاً من النور، فشوهد يوماً، وهو يتنقل من مكان الى مكان تنقل الطير الحائر الذي كلما حط فوق بقعة وجدها مقفرة من الغذاء، يقف فجأة وقد انتابه تفكير عميق. وقال يحدث نفسه بعد قليل: — انها فكرة لم تضء في ذهني قبل الآن.. ان «ياغور دانيليش» صديق الطفولة، وهو الآن في موسكو، فلالتجيء اليه عساه ان يجد لي سبيل الخلاص.

وخف يسرع الخطى الى بيت يقوم في طرف من اطراف موسكو قرب سوكولنك، حيث يشتغل صديقه ياغور سائساً للخيل.

وتقدم جيرازم من البيت، ودخل على صديقه وحياه. فاستقبله بحرارة وقدم له قدحاً من الشاي مع قطعة من الكعك، وسأله عن حاله فقال:

— لم تفارقني التعاسة يا ياغور مذ وطئت قدماي ارض هذه المدينه. وقد بقيت اطوف في شوارعها ثلاثة اسابيع بحثاً عن عمل دون جدوى.

فاطرق ياغور قليلاً ثم قال:

— هل حاولت الرجوع الى عملك السابق؟

— نعم

— الم يقبلك صاحب المتجر؟

— المكان الذي كنت اشغله، ملأه غيري اثناء غيابي

فمط ياغور شفتيه وقال:



— انت ولا شك السبب في ذلك. لانني ما عرفت واحداً من شباب اليوم يعمل في وظيفته بدافع الاخلاص، بل كلكم تضعون منفعتكم الشخصية نصب اعينكم فتجلبون على انفسكم غضب الاسياد ونقمتهم، ولا تكادون

تتركون وظائفكم حتى يتنكروا لكم ويوصدوا ابواب حوانيتهم في وجوهكم .

فقال جيرازم : — الناس ليسوا ملائكة يا ياغور

— ما فائدة الكلام الهراء . . . انصت الي يا جيرازم ودعني احدثك قليلاً عن نفسي . انني لو اضطررت الآن مثلاً ، الى ترك عملي هنا ، لاستطعت ان ارجع اليه في اي وقت اشاء ملاقياً كل عطف وتقدير من سيدي صاحب البيت . واسترسل يعدد مناقبه ومآثره .

وجعل جيرازم يتململ في مقعده . لم يكن يعهد صديقه ثرثاراً يملأه الغرور . ولكنه عزم على ممالاته ، آملا التأثير بواسطته على السيد « شاروف » صاحب البيت .

وقال جيرازم مقاطعاً ياغور

— اعلم تماماً ما تقول . . . الا ان هناك حقيقة تتجاهلها ، وهي ان امثالك قليلون ، ولا يتمتع بالمواهب التي يتمتع بها كل انسان .

فتبسم ياغور وعلت وجهه علائم السرور وقال

— تماماً كما تقول يا جيرازم . . فلو قدر الك ان تعيش مثلي وتخدم كما اخدم ، لما بقيت يوماً واحداً عاطلا عن العمل .

ولم يحر جيرازم جواباً .

واستدعي ياغور لسيده . فالتفت الى جيرازم وقال

— انتظرني هنا . . . ساعود بعد قليل . وخرج مسرعاً .

وعاد ياغور بعد قليل ، وقال لصديقه انه مضطر للتغيب قليلا عنه ريثما يعد الخيول التي تجر عربة السيد الى المدينة .

وتناول غليونه من جيبه واشعله وطفق يخطر في الغرفة جيئة وذهاباً . ووقف قبالة جيرازم وقال —

— اسمع يا جيرازم . . . ساطلب الآن الى سيدي شاروف ان يستخدمك في بيته

— هل هو في حاجة الى خادم جديد ؟

— لدينا واحد ، لكنه كسول . . . وقد تقدمت به السن واصبح عاجزاً عن العمل .

فقال جيرازم بلهفة :

— ليتك يا صديقي تستطيع ان تفعل شيئاً من اجلي

— سأحدثه بشأنك . اذهب الآن وعد غداً .

ومد يده في جيبه واخرج عدة قطع من النقود ، وقال لجيرازم

— خذ هذه ، فقد تساعدك على شراء بعض الحاجيات ، وسوف استرجعها منك في المستقبل .

— شكراً . . شكراً يا ياغور . . . — الى اللقاء .

وغادر جيرازم البيت جذلاً . واما ياغور فقد اتجه نحو اسطبل الخيل ، فاعد اثنين ، ووقف بالباب ينتظر سيده .

، واقبل السيد مرحاً واعتلى العربة ، شد اللجام حاثاً الخيل على السير ، لكنه توقف عندما سمع ياغور يخاطبه قائلاً :

— سيدي . . . عندي ما اقوله . . ولي طلبة احب ان اعرضها عليك ، وانال موافقتك .

ولم يكن ياغور يفتقر الى اللباقة او الذكاء ، فكان اعرف الناس بنفسية سيده ومزاجه . فلما رآه في ذاك اليوم منشرح النفس ، قرر ان يطلعه على امر جيرازم ويطلب اليه استصناعه في بيته .

قال السيد : ما طلبتك يا ياغور

— جاءني اليوم صديق حميم من ابناء قريتي ، وقال انه يعاني مرارة البطالة وقساوة الحرمان منذ اسابيع ، وهو يطلب الآن عملاً

— وماذا تريد مني ان اصنع

— ان تستصنعه في بيتك — ايصلح لشيء .

— يستطيع ان يقوم باعمال البيت على اختلافها

— وماذا نفعل « ببوليكاربك »

— لم يعد يصلح للعمل . وان لم تستبدل بـه الآن غيره ، فستضطر الى فصله قريباً

فبان الاستياء واضحاً على وجه السيد ، وعلاه تجهم ظاهر وقال

— ليس هذا عدلاً . . . من حقي ان احترم شيخوخة هذا الرجل واقدر له خدماته الطويلة . له في خدمتي سنين طويلة ، وما كنت لارضى بفصله دون سبب .

— لكنه لم يخدمك بلا مقابل . كان طيلة حياته يحصل اجراً طيباً . ولا شك في أنه ادخر شيئاً لايام شيخوخته يقيه صروف الدهر . وانني اظن ان الوقت قد حان لفصله .

— لا اظنه يا ياغور ، عمل يوماً على ادخار شيء . كان يصرف كل درهم يدخل اليه على نفسه وعلى زوجه . هي ايضاً تحتاج الى طعام ولباس . . .

لكنني يا سيدي اعجب لاهتمامك الشديد بامر بوليكاربك وامرأته وتكاد تبعثني على قول ما لا احب . ان بوليكاربك عاجز عن العمل ، واصبح لا ينفذ عملاً واحداً على وجهه الصحيح . وفي ليالي حراسته يغادر مكانه مرات عديدة هرباً من البرد ، مما يسبب لنا متاعب جمة ، ويوقعنا في مشاكل مع بوليس المنطقة . وسيفاجئنا المفتش في يوم من الايام ولن يجد بوليكاربك في مكانه

فقاطعه شاروف قائلاً : — رغم كل مـا قلت . . . لا زلت

اری في فصل هذا الرجل الذي عمل في خدمتي مخاصاً متفانياً مدة خمس عشرة سنة ، اثماً كبيراً . . . بل جريمة .

— جريمة ! ! اي ضرر سيلحق به عند فصله . . . انه لن يموت جوعاً . وسيذهب الى بيت العجزة حيث يقضي بقية العمر ، ناعم البال مطمئناً .

وكأن تلك الكلمات اصابت الهدف ، فما لبث ان عاد هدوء السيد اليه ، وزال عنه الاكفهرار ، وقال :

— حسناً يا ياغور . . . احضر صديقك غداً لانظر في امره .

— شكراً يا سيدي . . . انه شاب طيب النفس يستحق كل عون .

وشد شاروف اليه اللجام ، فاندفعت العربة مسرعة نحو المدينة .

وجاء جيرازم في مساء اليوم التالي ودخل على ياغور وبادره بالسؤال قائلاً :

— ماذا حل يا ياغور . . .

— كل الخير على ما اظن

وسار نحو الموقد ، وقال :

— دعنا نشرب قدحاً من الشاي الساخن قبل كل شيء .

ولم يهدىء الشاي من روع جيرازم واضطرابه ، ولم يخفف من توتر اعصابه . كان خائفاً من الاخفاق . وشرب قدحين من الشاي ، وانتقل الاثنان بعد ذلك حيث السيد شاروف .

وسأل شاروف جيرازم عن اعماله السابقة وعن كفاءته ، ثم اخبره انه قرر استصناعه خادماً في البيت ، وطلب اليه ان يحضر في اليوم التالي ليتسلم العمل .

وخرج الاثنان من عند السيد واخذ جيرازم الذي استولى عليه السرور ، يرنم بصوت خافت نغماً موسيقياً ، ويتمايل بجسمه المرتعش فوق رجلين تكادان تعجزان عن حمله .

والتفت ياغور الى جيرازم وقال :

— احذر التساهل او التواني في العمل يا جيرازم ، وتجنب ان تجلب على نفسك غضب السيد . انك عارف عقلية الاسياد وامزجتهم . . . انهم ان انتزعوا الثقة من مستخدميهم ولو مرة واحدة ، تجاهلوا اخلاصهم وشمخوا بانوفهم ، وصبوا عليهم الوانا من غضبهم ونقمتهم .

— لا تخف يا صديقي . . . ولا تخش شيئاً من هذا . . . وسوف اكون عند حسن ظن السيد بي ، وبحسن ظنك انت .

— حسناً يا جيرازم

وخرج جيرازم من البيت ، ويمم شطر الدرب المؤدي الى

الاديب

☆

— لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها من شهر كانون الثاني (يناير)

— تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة لبنانية

في الخارج : ١٥٠ قرشاً مصرياً او ٦ دولارات ونصف ترسل حوالة بريدية دولية او حوالة على احد المصارف

— المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

— للاعلان يراجع المدير الفني : مختار شملي

●

لدى الادارة مجموعات من الاديب تطلب بالثمن التالي :

السنة الاولى ١٩٤٢	٣٥ ليرة	او ٤ جنيهات انجليزية	
« الثانية ١٩٤٣	٢٥ «	او ٣	« «
« الثالثة ١٩٤٤	١٥ «	او ٢	« «
« الرابعة ١٩٤٥	١٥ «	او ٢	« «

ويحسم ٢٠ بالمئة لمن يطلب الثلاث مجموعات الاولى معاً

○

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير اديب

◆

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب — صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت — لبنان

البوابة الحديدية ، ومر من هناك ببيت الخدم ، واستدار بدافع الاستطلاع ناحية نافذة ينبعث منها بصيص خافت من النور ، وشجعه شوقه الى تعرف اجزاء البيت على استراق النظر من وراء الزجاج ... الا انه لم ير شيئاً بسبب الستر المسدلة باحكام .

وما دار على عقبيه ليتابع الخطو ، حتى سمع كلاماً صادراً من الغرفة اثار اهتمامه ، فوقف مكانه لا يريم ، واحتبست الانفاس في صدره واخذ ينصت . فسمع صوتاً نسائياً يقول :

— وما العمل بعد ذلك .

ثم سمع صوتاً غليظاً محشرجاً يرد على الصوت الاول

— لا ادري — ليس امامنا سوى التسول ومد الايدي ، طلباً للصدقات من الناس .

فرد صوت المرأة الكسير يقول :

— حقاً ما قلت . ولا شيء غير ذلك . التسول واستجداء الناس للحصول على الخبز . ما اتعسنا نحن الفقراء . نكدح في النهار ونحرم نوم الليل سهراً على مصالح الاسياد ؛ وعندما يطول بنا العمر ونوغل في الكبر ؛ يتخاون عنا قبل ان يتخلى الدهر ، ويلقوا بنا على قارعة الطريق .

فقال بوليكاربك

— ماذا في استطاعتنا ان نعمل .. ثم تذكري ان السيد ليس منا ، ومن المنتظر ان لا يهتم الا بنفسه وشؤونه الخاصة .

فقالت امرأته :

— جميعهم اللؤم شيمتهم . ان خدمتنا الطويلة واخلاصنا الشديد لهم ، لا يتركان اي اثر في نفوسهم . ما اقساهم واغلظ قلوبهم .

— ليس السيد هو الملوم . انه ياغور دنيليش ، ذلك الذي يبغي اعداد المكان لصديقه .

— انه ثعبان ... ويعرف كيف يعض لسانه .. لن ادعه يفلت ، وسانتقم من الثعلب الماكر انتقاماً مراً لا ينساه . ساذهب الآن عند السيد واطلعه على كل شيء . ساقول له « ان الذي تعتقد فيه منتهى الامانة والاخلاص ، ما هو الا لص زنيم » . ساكشف له عن سر سرقة العلف والبرسيم ...

وهنا سمع جيرازم صوت المرأة يرتفع متهدجاً .

— تأثم وترتكب خطأ . لا تفعل ذلك بالله عليك ، وهديء من روعك .

فقاطعها واخذ يردد كلماتها ويقول ، والدمع يطفر من عينيه .

— تأثم ... وترتكب خطأ ! ! اليس صحيحاً ما قلت ؟ اين نذهب وماذا نفعل وكيف نعيش ان تركنا هذا المكان ؟ لقد قضى ذلك النذل علينا وشاء لنا ان نصرف الايام القليلة الباقية من حياتنا ، في حلكة الظلم وبؤس الحياة .

سمع جيرازم ذلك كله وهو كالمصعوق ، وشعر كأن سهاماً فاتكة تستقر في كل جزء من اجزاء جسمه . وانتابه ذهول ، واصابه ارتباك عنيف ، وران عليه كابوس ثقيل . ولكنه قرر ان يعمل شيئاً ينتشله من الهوة السحيقة المتردي فيها ، فانطلق نحو غرفة ياغور ودفع الباب ودخل .

فما رآه ياغور حتى صاح دهشاً

— اه ... انسيت شيئاً

فاجاب جيرازم بصوت حزين النبرات .

— .. لم انس شيئاً ... وانما جئت لاقول لك ...

واحتبست الكلمات في حلقه .. ثم استجمع قوته وقال :

— جئت لاقدم لك شكري ، واعبر عن عظيم تقديري ، لما اظهرت نحوي من طيبة نفس ، ولاقول لك .. انني قررت العدول عن قبول العمل .

— ماذا ! ماذا تعني ...

— لا شيء ... غير انني اصبحت امقت هذا المكان .. وسابحث عن غيره

فثار ياغور ، وقال :

اتريد ان تستهزيء مني وتجعلني اضحوكة امام سيدي ، ايها المعتوه ؟

لست افهم .. جئتني البارحة مستجدياً تطلب عملاً وعندما اوجدته لك ، اصبحت تنكر النعمة وتركها بقدمك . اتريد ان تخذلني ايها النذل ...

واسترسل لسانه يقذف سيلاً من الشتيمة والسباب . ولم يعثر جيرازم على كلام يرد به ، وطأطأ برأسه ، وبخفة كبيرة تناول قبعته وغادر الغرفة تاركاً ياغور غارقاً في لجة من الحيرة والاضطراب .

واجتاز جيرازم ساحة الدار مسرعاً ، ومر من البوابة متجهاً صوب الطريق العام . وملأ رئتيه من هواء الليل البليل ، وشعر في تلك اللحظة بجسمه يتحرر ، وبصدره تخف عنه وطأة الكابوس وبروحه تحلق في جو طليق لا تكتنفه القيود .

القدس — عقيل هاشم

المرأة والتمثال ومجرد الجمال

☆



مهداة الى الهام الشاعر
عمر ابو ريشة

حسناء .. يا بنت الجما ل المطلق المتعذّر
هوذا اشتباهك بالجما ل على المثال المرمري
أسر الخلود وراءه .. إشراقها لم تفتر
الروح وعشاء الرغا ب على الطريق الاغبر
حوّامة حوم الفرا ش على اللهيب النيّر
يردى .. وفي نفس السما ء اليه ذلّ معفّر

*

حسناء قد صنع الخيالُ جنون حب مبكر
خلاقة ، تعصيه منه بوادر لم تبدر ..
لعب الصبا فيه وجد الفكر بالمتفكر ..
حسناء .. ما انت التي حيّرت للمتحيّر .
ان مال عنك مجسد من حسنك المتغير
جردته .. هيهات يعوزه الجمال العبقري

*

حسناء .. كم من دمية اسرت كأن لم تأسر
طلع الصباح على غلا لة عريها المتحجر
فبدت .. جمال الصبح فوق جمالها المتكبر
وعدا الجمال حبالة النحات .. لم يتصور ..

*

حسناء .. ما احببت منك سوى نعيم مخبر
خفي الجمال وراح منه اشارة بالمظهر ..
نفر المثال .. واصله مسترسل لم ينفر
وبكى فيصل الروح من عرض به للجوهر
هيهات قناص الجما ل . تقدم بتأخر ..

دمشق — عبد الحكيم مراد

من حياة شاب

مهداة الى الاستاذ ابو مدين الشافعي

بقلم جلال فاروق الشريف

☆

كتب الشاب مقدمة ليومياته يقول فيها :

ان للنفس تقلبات ، ولها ازمات ، وما اكثر هذه التقلبات والازمات في حياة شاب يعصف بروحه كل ما يعصف ، من شك ويقين ، وأمل ويأس .

ولعلي قد استطيع هنا ، ان اصور شيئاً مما ينتابني ، ولعل في ذلك ما يساعدني في المستقبل على ان اكشف شيئاً من خفايا روحي الحائرة .

صباح الجمعة ١٩ — ٤

اشعر في هذا الصباح بأن نفسي فارغة فقد سلبها الليل والنوم كل امتلاء . فانا احس بفراغ عظيم ، فراغ هائل ، لا اشعر معه بأن لي اية ذكريات او اي ماض .

وانا في هذا الصباح ، خلفي العوسج المتشابك على جدار الحديقة وحاجزها الحديدي ، ذو الازاهر الصفراء ، والشمس ترسل من خلال اوراقه اشعة الصباح الخفيفة ، ليس فيها كثير من الحرارة ، ولكن فيها برودة منعشة تبعث في نفسي نشوة هادئة ، فاغمض عيني ، واترك النسيم يرد الي ، فاشعر بانتعاش يبعث في غبطة ، الا ان الصحيح اني لا ادري حقيقة ما اشعر ، فكل شيء غامض في نفسي الفارغة المبهمة .

الى جانبي صديقان يتحدثان ، الا اني لا اصغي لحوارهما او التفت او اجيب ، بل استمر في التأمل والكتابة كأنه ليس بجانبي احد .

هذا صباح ليلة اطلقت نفسي فيها ما ملأها من انفعال كاد يمزقها ، لكني حطمت كل شيء لاطلقه وحتى لا ادع في نفسي شعوراً حبيساً يمزقها ويجعلها لا تستقر او تثق بشيء .

انا لا ادري ما فعلت ليلة البارحة لاني لم اتعود ان اهجر هذا الهدوء المصطنع والوقار المزيف اللذين احاول ان اسبغهما على نفسي ، هذه النفس الساخرة الناقمة البائسة التي لا يحبها احد ولا تحب احداً .

لقد ثملت وقلت اشياء كثيرة ، لقد قهقهت ولقد بكيت كما يفعل كل ثمل ، ولقد اضحكت الناس في ليلة هذا العيد القومي ، الا ان نفسي المضطربة المحطمة لم تضحك ابداً . كنت بين رفاق متنكرين ، نصفق ونردد الاناشيد والاهازيج ، وجموع الناس تتدافع حولنا فرحة مرحة ، لقد كان الجميع في انطلاق نفسي . الا انا ، فبزي رجل صيني قد اطلق لحيته البيضاء ، ونفسه الشوهاء السوداء ، ليتبجح كذباً في هذه الليلة الحافلة .

كانت نفسي التي يخيل للناس انها عابثة ، تضطرم بنار اليأس والتشاؤم وراء زي يليق بساخر حقيقي او بمفكر عميق ، ولكن ليس بروح ثائرة لا تهدأ او تركن الى شيء .

صباح الاحد ٢١ — ٤

كل شيء حولي الآن هادئ صامت ، الا المدينة التي تضج وتصخب من بعيد . كل شيء هادئ ساج الا نفسي التي تشعر بالغربة وتستوحش الانفراد ، فهي بحاجة الى من تسبغ عليه الاحاسيس والعواطف ، وتبادله الود والحنان . من نافذة غرفتي العالية ، ينساب الي شعاع من الشمس ، فيبعث في نفسي شيئاً من الدعة والطمأنينة اذا نظر اليه ، ويوحي اليها بمس من الهدأة والسكون .

والنسمات الرطبة ، تخطر بين الفينة والفينة ، فاشعر بالانتعاش بعد ان فقدته عدة ايام وليال .

لم يلذ لي ان اضطجع على السرير ، وان اتمدد فاستريح ، واطلق الزفرات التي لا تكاد تغادر صدري حتى اشعر بفراغ فيه لا يلبث ان يمتلئ من جديد .

لقد استغرقت في سبات قاتل كل يوم البارحة ، الا ان هذا لم يبعث في الراحة

ليست هذه قصة رغم انها تقص علينا طرفاً من حياة شاب . وهي ليست صفحات منتزعة من يوميات شاب بذاته انها صورة كتبت بأخلاص لتعبر عن قلق الجيل الجديد وعدم استقراره . [جلال فاروق الشريف]

المنشودة والهدوء الذي ابغيه . لقد شربت حتى الموت ، وثملت حتى انهكت قواي ، ولقد بح صوتي حتى لم اعد اطيق الكلام او الانين ، الا ان اوار عاطفتي لم يخمد في صدري بل هو يشتد ويزيد ، كلما ضعفت سيطرتي على نفسي واعصابي التي ارهقها التوتر ، اني افر دائماً الى غرفتي ، كما يفر الجبان من الساحة لاحيا وحيداً بين جدر اربعة ، اناجي نفسي واتأمل الطبيعة المطلة على غرفتي من نافذتها .

اني لاعلم جيداً ان قدري هو في هذه العاطفة التي تسيطر علي ، واني لاشعر في عمق بقوة هذا القدر وقسوته . كم يحقر الانسان كل ما هو ضرورة ، الا انه مع ذلك ، يؤمن في كثير من الاحيان بأن له قدراً يحتم على نفسه ويسيطر عليه . انه يزدري المادة لانها قدر وضرورة ، ويشعر ان له صفة انسانية لانه حر ، ولكنه مع ذلك يسترسل مع الايمان بالمصير ، الا ان مصيره هذا مصير داخلي ، لم يفرض عليه من خارج نفسه ، بل هو الذي حاكه لها واختاره وصاغه .

لقد نسجت بنفسي لنفسي هذا القلق الممض الذي يذهب بالاستقرار ، وحاكت لها هذا الشقاء الذي ترفل فيه ولكني لا ازال اشك فأتساءل هل هو حقيقة شقاء؟ لقد كنت اول الامر فرحاً بهذه العاطفة التي ولدت في صدري ، الا اني اليوم او بالاحرى منذ شهور بدأت اشعر بالالم الحقيقي الذي يصرع النفس .

عندما رأيتها لاول مرة ، لم اشعر ان حبي لها من النظرة الاولى كما يقولون ، لاني احسست اني رأيتها من قبل واني اعرفها منذ زمن بعيد .

لقد بدأ قدري يتجسم لي واضحاً جلياً عندما رأيتها بعد ذلك مرات . لقد تولاني شعور مبهم ان ذلك لا يمكن ان يكون صدفة مجردة بل لا بد هناك من شيء يفرض نفسه ، لم اعرف من هي كما انها لم تعرفني ، الا اني قد اطلعت على كل هذا اتفاقاً دون ان تكون لي يد في الامر ، او على الاصح ، ان قدري قد اخذ يطلعني شيئاً فشيئاً على مصيري .

لقد تجالسنا بضع نظرات ، ورمقنا بعضنا رمقاً يجيش الحشى ، ولكن هل في النظرة او الرمقة من شيء . وهل توحي بشيء ؟ انها توحي الى الشاب بالكثير ، وتبعث فيه الشجن والآلام .

في ليل ٢٨—٤

لجي تعب ، وفي روحي انهاك ، اعود الى غرفتي اكثر اسى مني حين غادرتها ، لقد كنت آمل ان اروح عن نفسي قليلاً لكن هذه التسرية عادت علي باسوأ مما كنت انتظر . كنت انشد السلوان والعزاء ، وافتش عن التسلية العابرة ، وذلك لتنسى الروح ما بها ، وتعرض عما ينتابها من الالم والحسرة ، الا ان هناك صوراً ثابتة في مخيلتي لا تبرحها ابداً . صورة هي كل شيء . انظر من خلالها الى كل شيء . النور يرسل الي اشعته بعنف فيكاد يؤذي بصري ، اني لاشعر ان عيني قد تورمتا ولكني مصر على الكتابة ، لان في عواطف زاخرة تأبى القيد والانحباس ، وتود لو تنطلق وتبدده .

اشعر بالحياة كأنها عاطفة فقط وانفعال مبدع يورث الالم فلتد حياة الانسان الحقيقية ، ويلد معها الفن والعبقرية . لقد كنت ولا ازال افتش عما يملأ فراغ نفسي حتى تذهب عني آلية الحياة التي كنت احياها ، ويذهب عني تكرارها فتفارقني وجوهها المتشابهة لتحل محلها اخرى ملونة زاخرة بالحياة ، فانا ابحث عما يخلق في احساسات جديدة وعواطف وليدة ، تذهب عني بنمطية الحياة التي كنت احياها ، وباتساقها الذي يجري على وتيرة واحدة .

فلئن شعرت اليوم بالغصص والآلام فلأني اردتها وعملت على نموها ، ولئن اخذت هي في النشوء والسمو فلاني رغم ما اعانيه منها اشعر انها الحياة الصحيحة التي تخالج كل من يشعر بالحياة تنبض دافقة خافقة فتخلق كل شيء من العدم .

الا ان ما بعثته في نفسي قد بدأ يشقيني ويعذبني حتى لم اعد اطيق صبراً عليه ، وهل هذا هو الالم المبدع الذي يصقل الروح ويسمو بها ؟

اني لا اشعر الآن بسوى الالم ، والالم فقط ؛ ولا احس بغير القلق يهز كياني هزاً ويجعلني اتقلب كالسليم على فراش انبو عنه وينبو عني . احس بالفراغ والعدم يملأ نفسي او اني لا احس بشيء مطلقاً .

اشعر كأن في اعماقي هوة ، فكلما تأملت نفسي احسست ان ليس لهذه الهوة من قرار ، انها تبتلعني فتتوارى نفسي فيها . اني في كثير من الاحيان لا اشعر ان لي كياناً مادياً عندما اخلو لنفسي ويملأ الظلام اكنافي فلا ارى او اسمع شيئاً سوى صدى روحي الذي يتردد ويرن من هوة نفسي ، التي تفغر فاها لتذهب بي الى حيث لا ادري .

الاحد ٥—٥

قد لا يستطيع المرء الكتابة ، الا اذا كانت نفسه مترعة بالمشاعر والاحاسيس ، الا انها قد تسيطر عليه

فتملك زمام الكتابة فلا يستطيع ان يخط عاطفته سطوراً ، وهذا تماماً ما ينتابني .

انني لا ادري هل تضاءل حنيني اليها، ام قد ملك علي هذا كل شيء . فلم اعد اشعر بوجوده . لقد مضت ايام لم ارها فيها، وكلما مضت ايام اخرى يزداد في هذا الحنين حتى انهارت ارادتي امامي وذابت عزيمتي فانطلقت لاراها .

لقد كنت اقنع بطيفها ، اما الآن فلست بقانع ان اعيش معهـا قريبة في الخيال والعاطفة ، بعيدة بالروح والجسم انا لست بقانع بأن ابذل نفسي ومهجتي من بعيد دون ان يشعر بها احد، واذوي كما يذوي غصن شجرة قتلها الظمأ ولا تجسر ان تمد فرعها الى الماء .

الا اني لا استطيع اكثر من ذلك .

لا استطيع ان اقترب منها لان حبي جعل حولها هالة من نور ونطاقاً من نار فـلا استطيع ان اقترب من الاولى ، ولا اقتحم الآخر . لو لم احبها ، لو اعجبت بها فقط لكنت عادياً في تصرفي معهـا ، الا ان عاطفتي نحوها قد صاغت لها قداسـة لا استطيع الاقتراب منها .

كم اود لو لم ارها فلم اعد اطيق عذاباً منهكاً . ان لكل شيء حداً يقـف عنده ، اما انا فلم اقف عند حـد ، او اني لا استطيع ان اقف عند اي شيء كان.

كنت كلما شعرت باللهفة وخفقـان القلب، التذ وارتعش غبطة وارتياحاً فاغذي قلبي بحنين جديد حتى لا تنطفيء في هذه الجذوة اللاهبة من الاحاسيس ، وهكذا حتى انتهى كل ما بي من الحنين فلم يعد في نفسي شيء كأنها موقد فارغ الا من رماد .

كنت احرق في حبها الغبطة فتستحيل آلاماً تتكدس في صدري ولمـا انتهت مشاعري واحترقت كلها في حبها لم يبق في هذا الصدر سوى اليأس والآلام ، فنار الحب تحرق كل غبطة، حتى لا يبقى سوى الالم . الا ان نار الحب قد بدأت الآن تحرق آلامي التي في صدري، السعادة والراحة عندما يحترقان يستحيلان الى آلام ، امـا الآلام فعندما تحترق لا تستحيل الى سعادة، بل هي تتضاعف لتلد آلاماً جديداً لاتبقي في النفس ولا تذر . لقد كانت عاطفتي اول امرها ملهاة ، الا انها اصبحت الآن تحرق قلباً ليس به الدماء ، هو قلب لم يعد يستطيع ان يخفق طويلاً .

اهدأ ايها القلب وترفق في سيرك فلا اراك الا تضرب بعنف ، سر رويداً فلا اريدك ان تقف فجأة ، ولكني اود ان اراك تتمهل في السير وتقف بهدوء قريباً.

لا اريدك ان تقف قبل ان توصلني اليها لاتزود بنظرة اخيرة، سر رويداً وقف تحت ظل نافذتها ان اردت ، فهناك يحلو الموت .

الثلاثاء ٧ — م

لا استطيع ان اقول ، سوى اني اصبحت اخشى الوحدة وارهبها .

اني اود من اتحدث اليه او يحدثني لاني بدأت اخشى من نفسي . لا اكاد انفرد، حتى تسيطر علي الافكار والآراء والمشاعر والعواطف .

اني لاحس في بعض الاحيان كأن برأسي سيـلاً ، يكاد يتدفق في كل لحظة من فمي ووجهي ، ولكم اتمنى لو حدث مثل هذا فلعلي اجد بعض الراحة .

ليس لي ما افزع اليه سوى الكتابة فأكتب كل شيء ، لاخفف عني عبء هذا الفكر الذي بدأ يرهقني ويعذبني . اود لو اجد ما استطيع ان افرغ فيه هذا الارهاق النفسي الذي يلازمني .

اني اعمد الى الدراسة اقتل نفسي بها فلعلي اتعب، واعمد الى السير المضني، فلعل تيار التفكير المخيف يزول . اني اعمد الى النوم فـاستغرق فيه كل يوم اكثر من نصفه ، ولكني لا اكاد اصحو واعي وجودي حتى يداخلني قلق وخوف لا ادرك لهما معنى .

لست اخشى اشياء مادية، ولا صور خيالية مفزعة ، بل كل ما اخشاه هو هذا الاستغراق الرهيب في التفكير الذي يشل اعصابي . افكر في العالم في الله في القومية في الحب في اللذة ، اقرأ كل ما يمكن ان يقرأ ، تارة اشعر بالرعب من المصير الآخر، واخرى اكفر بما دنى ونأى . انا اتساءل دائماً ما قيمة الحياة ؟ ما قيمة الافكار ؟ ما قيمة المبادىء ؟

كلها ليست لها اية قيمة عندي في لحظة من اللحظات ، وبعد قليل ، تراني اعود الى نفسي ، وتسترجع هذه المفاهيم مكانتها من فكري ، واشعر كأني كنت في هوة ثم صعدت منها .

اني لاراني احياناً كأني اسقـط في مكان عميق واظل اهوي فيه ثم اهوي دون ان اصل الى قرار كأني حالم من الاحلام ، بل اظل في هبوط مستمر غور الفضاء ، فيخفق قلبي بشدة ، وتضطرب انفاسي وتتسارع ، واحس العدم كشيء المسه بيدي .

كثيراً ما افكر في المستقبل واحاول ان اتخيل كيف سيكون مستقبلي الذي اطيل التحديق به والاستغراق فيه . ولعل ما بي من ميل الى التشاؤم والى السخرية من كل شيء والازدراء به يطفر على هذه الصوره التي اتخيلها عن نفسي في المستقبل ، فيلقي عليها ظلًا من سواد فتبدو قاتمة مربدة ، مما يعكر علي صفو حاضري وليس فيه صفو ، ويزيد في سواده وهو في الحقيقة اسود او اني لا اراه الا كذلك .

كم اتوق الى ان اعرف ما سأصير اليه وكيف ستكون حياتي في المستقبل ، وستتحقق اهدافي فيها . كل هذه اسئلة لا يحلو لي ان اطرحها على نفسي ولكنها تفرض نفسها علي دون ان اتمكن من دفعها او الفرار منها ، ويحلو لتشاؤمي ان يسبغ عليها ظله فأكاد انفر من الحياة واود لو استطيع الخلاص منها بأية وسيلة .

اني لاذكر جيداً كيف طغت على فلسفة شوبنهاور وكيف استغرقت في المعري واعجبت بسخرية نيتشه .

ولكن هل خلقت كل هذه الاشياء في التشاؤم ؟

هذا ما لا اعتقده . لقد غذتني بالتشاؤم ووجدت هوى من نفسي ، الا انها لم تخلقه في ابداً .

لقد كنت متشائماً مذ كنت حدثاً ، كنت دائماً اثور عندما يمس روحي احد ، كنت انفر دائماً خجلًا من الناس . لقد كان ابي شديداً علي في صغري ، ينتهرني لاتفه سبب ويهزأ بي كلما فزت في ميدان من حياتي المدرسية . لم انل منه مكافأة على عمل ولا تشجيعاً بكلمة . كان يحبني ولكنه لا يتظاهر بذلك ، فلم ار منه الا الناحية القاسية الشديدة التي ارهقتني وصاغت لي نفسية قلقة مضطربة . لقد خلق في شعوراً هائلًا بالنقص يكاد يكبلني فلا استطيع القيام بعمل ، بل الانزواء بعيداً اقرأ واطالع فليس لي غيرهما .

انا كلما سعيت وفزت وتفوقت على غيري ، ابدأ بالتساؤل ، والشك في قوتي ومقدرتي ، ابدأ اشك بما افعل وافكر ، واندم على اشياء فعلتها فاشك في صحتها وصوابها بينما هي في حقيقتها صحيحة صائبة .

لقد تمكن في نفسي هذا الشعور بالنقص حتى تأصل فيها فاندفعت الى الانزواء اقتل نفسي بالقراءة والمطالعة . ولقد شعرت بان في امكانيات قد تتفجر ، واني قادر على ان افعل شيئاً ، على ان احتل مكاناً يكاد يرتفع عن المستوى العادي للافراد . لقد بدأت احس باني لا يمكن ان احيا كبقية الناس واحداً في قطيع كبير ، فبدأت امل هذا الاتساق في الحياة وهذه النمطية التي لا تتغير .

اني لافضل ان اترك الحياة على ان اكون رجلًا عادياً ، يعيش متوسطاً في كل شيء ، ليتزوج بهدوء ويرزق اولاداً ثم يموت بكل بساطة . خير لي ان احيا بعنف ، ان اكون شهاباً يرتفع الى العلاء لينير زمناً قصيراً ثم ينطفيء ويهوي . من ان اكون شمعة على الارض تذوب ببطء . خير لي ان احترق بقوة لاسطع وانير اكبر اثارة ممكنة فاعرف على ضوئها الكثير ، من ان اعيش دهراً في بقعة صغيرة لا ادري غيرها .

خير لي ان اطلع على كثير من الحقائق في ثانية ، من ان اعيش دهراً في حقيقة واحدة لا اعرف سواها . ليس طول الحياة وقصرها هو الغاية . لقد عشت ما يزيد على العشرين عاماً ، ولقد جبت البلاد منذ الرابعة من عمري وانا حتى الآن لم استقر في بقعة معينة ولم ارتبط باحد ارتباطاً وثيقاً لا استطيع الفكاك منه .

لا استطيع ان احيا لليوم فقط كما يفعل الكثيرون ولا بالماضي فقط او بالمستقبل . لا استطيع ان احيا سعيداً كما يفهم الناس من السعادة فآكل هنيئاً واشرب مريئاً دون اي هم او قلق الى جانب زوجة لا تجيد غير طهي الطعام وترتيب شؤون البيت هذه ليست الحياة التي اريدها . كم اكره التشاؤم عندما افكر فيه ، وكم احبه ايضاً عندما افكر فيه . لمَ تساورني كل هذه الافكار التي اخطها ؟ لمَ لم اكن ككل الناس الذين لا تخطر برؤوسهم كل هذه المسائل ؟ لم لا اعرض عنها عندما تمر بي او افكر فيها تفكيراً عقلياً لا يتعدى السطح ؟

كل هذه اشياء اتساءل دائماً عنها .

هل الفكر يسعد الانسان ام يشقيه ؟ هل الخير والسعادة في ان اكون عادياً امارس عملًا او وظيفة بآلية تامة دون ان افكر في هذه الاشياء . فانال السعادة التي يفهمها الجميع ؟

ام استغرق في التفكير والتأمل في كل شيء ، فاحيا في سماء الفكر والنفس فأنال السعادة التي يفهمها القليلون ؟

هل السعادة هي التي يفهمها الجميع ام التي يفهمها القليلون ؟

هل السعادة ان اكون واحداً في قطيع ، ام ان اكون وحدي قطيعاً ؟

واخيراً هل هناك سعادة ؟

دمشق جلال فاروق الشريف



أنشودة المساء

للشاعر شالي

☆

استفقت من احلامي بك ،
في الاغفاءة العذبة الاولى من الليل ،
عندما تتنفس النسائم بهدوء ،
وتتلامع النجوم .
استفقت ، وانا اشعر بروح في قدمي
تقودني — ومن يدري كيف —
الى نافذة مقصورتك الحبيبة !

*

النسمات الهائمة تفقد احاسيسها ،
في الظلام .. وفي الجدول الصامت .
وعبير زهرات « الشمباك[1] » يذوي
كأفكار عذبة في حلم جميل ،
واغاريد العندليب الشاكية
تموت على صدره .. كما يجب ان أموت عند صدرك !

*

آه .. ارفعيني عن الاعشاب
فانني احتضر .. يغمى علي .. اخفق !
دعي حبك ينهمر قبلاً ..
على شفتي ومقلتي الشاحبتين
وا أسفاه ! ان وجنتي باردة بيضاء
وقلبي يخفق بسرعة وعنف
ضميه الى قلبك .. فهناك سيتحطم اخيراً !

بغداد — مرتضى شرارة

(1) نبتة ذات ازهار برتقالية اللون .

الجمــــال

للشاعر كيتس

☆

« عبدت الجمال في كل الاشياء ولو طال زماني لطاولته
فرحة ابدية جللها الحب بديمة لن تنقشع !
عرائش الحب النضيرة ،
كساها الجمال بنجوم من الزهر
سالت عليها دموع الفجر ، فراحت ضاحكة باكية !
خمائل الحب الوثيرة ! سكر فيها الجمال ، فنام :
بأحلامه الحلوة ، وانفاسه الهادئة !
في كل صباح ينظم باقة من الزهر لنبقى في الارض !
ورغم اليأس ، والمجاعة الانسانية !
والايام الحالكة والعقبات المرة !
فان طيفاً من الجمال يطوي ستار الاحزان ،
عن نفوسنا المظلمة !

*

الشمس والقمر ، الاشجار العتيقة والطرية ،
قدمت للحملان هدايا فاخرة
وهكذا : الازهار بعالمها اليانع !
والانهار ايضاً بأطرافها الرطبة في فصل الجفاف !
والخمائل في صميم الغاب
ملأى ببراعم ورد المساك !
وهكذا : تخيلنا القباب السامقة لعظماء من الموتى ! !
والقصص الشائقة نبع خالد ، يسيل الينا ،
من عند الله بمعين لا ينضب ! !

المسمية — فلسطين — عبد المنعم العالم

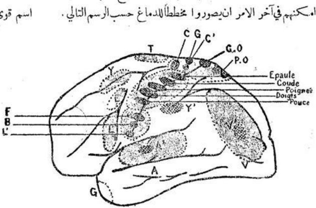
الطب وعلم النفس ٢

بقلم الدكتور نقولا فياض

عضو المجمع العلمي العربي بدمشق

☆

كانت معارف الناس عن الدماغ حتى اوائل القرن التاسع عشر ضيقة النطاق ، والشروح التي تنشر عنه غامضة متناقضة ، وليس ثمت ما يجدر الاخذ به لولا اكتشاف بروكا مركز لغة النطق في التلفيفة الجبهية الثالثة ، ولولا بعض الابحاث لبعض الاساتذة مثل لبين وسنواه . فلما برز شاركو الى الميدان انشأ اول ما انشأ بالاشتراك مع زميله بيتر رسالة قدمها الى جمعية علم الحياة « بيولوجيا » سنة ١٨٧٧ وضع فيها الاسس لطريقته — التشريحية السريرية — وافاض في بيان ما يمكن الاستفادة منه بالمقابلة بين الاعراض التي تعرو المريض في حياته من تشنج او شلل وما يكشف عنه تشريح جثمانه بعد الموت . وما برح الاثنان منذ ذلك العهد الى العام ١٨٨٣ يجمعان البينات والادلة المؤيدة لآرائهما حتى انتهى علماء العالم بالانضمام اليهما . وتعددت الابحاث في هذا الموضوع فأدت الى اكتشاف نقاط في المراكز الخفية من الدماغ يتم بها التقاط الاحساسات الآتية عن طريق السمع والبصر بحيث امكنهم في آخر الامر ان يصوروا مخططاً للدماغ حسب الرسم التالي .



«عن كتاب ديبوف اشار» A مركز للسمع A' مركز خاص بالسمع الكلامي V مركز للنظر V' مركز خاص لنظر الكلمات — G مركز الذوق — L مركز للغة النطق E مركز للكتابة T مركز لحركات القسم الاعلى من الجسم — Y مركز لحركات الرأس والعينين Y' مركز لحركات كرة العين — F مركز لحركات الوجه B — مركز لحركات الفم — L مركز لحركات اللسان — C مركز لحركات الفخذ — G لحركات الركبة C' لحركات الرسغ C-O لحركات الابهام — A-O لحركات الخنصر .

هذا الرسم يظهر لنا ان في قشرة الدماغ مراكز لاستقبال احاسيس النظر والسمع والذوق والشم ، واخرى لاستقبال الاحاسيس الآتية من مختلف نواحي الجسم وللاشراف على حركات تلك النواحي . وفي قاعدة التلافيف الجبهية مركز صغير للغة النطق وآخر للغة الكتابة ، على ان المركز الثاني اي المختص بالكتابة لا يزال موضع الخلف بين العلماء ، واكثرهم يرى ان مركز لغة الكتابة هو في المنطقة التي تسيطر على حركات الايدي والانامل .

هذا هو الحد الذي وصلوا اليه وهو كما نعلم لا يكفي للتعرف الى مراكز الادراك والارادة والذاكرة ولا الى تلك البقعة الصغيرة من سماء العقل البشري الذي يتجلى فيها كوكب الذاتية المعبر عنه بكلمة « انا » .

ومهما يكن من هذه القشرة الدماغية فهي لا ترينا شيئاً من هذا ، لان الادراك والارادة والذاكرة والشخصية كلمات خلقناها لحالات تصورناها ، أو تعلمناها ككيان قائم بنفسه واطلقنا عليها اسم قوى النفس .

●

واذا كان من سبيل للوصول اليها فبدرس فسيولوجية الدماغ اي وظيفته فنرى ان الدماغ آلة معقدة التركيب لتعدد ما فيها من الادوات، ولكنها بسيطة في مبدئها فهي تلتقط من هنا وهناك صوراً للسمع وصوراً للصوت وصوراً للشم او الذوق ثم تحولها الى حركة، الى نطق، الى كتابة.

وهذه الصور التي يلتقطها الدماغ فتنطبع فيه يمكنها قبل ان تتحول الى عمل، ان تجاور صوراً غيرها وتشترك معها وتوقظ في طريقها صوراً اخرى نائمة.

هذا هو الدماغ، كل الدماغ.

وصف وجيز كما ترى ولكنه كاف ليسهل لنا تعريف ما يسمونه قوى النفس تعريفاً علمياً وفسيولوجياً.

فالذاكرة — الوظيفة الاصلية الاساسية والاكثر غموضاً — هي خاصة خلايا القشرة الدماغية ان تحفظ الصور في حالة النوم لتوقظها وتبعثها من مكانها لاول سبب كتهييج خارجي، او احتدام الدورة الدموية في تلك الناحية من الدماغ، او سريان موجة عصبية من جماعة من الخلايا الى جماعة مجاورة لها.

ولا تحسب هذه الخاصة وقفاً على النسيج الممتاز الشريف الذي تتألف منه مراكزنا العصبية فالتاريخ الطبيعي يعلمنا ان مزية حفظ الاثر الحي ثم بعثه واحياؤه من الصفات المنتشرة في المادة. وهذا الامفيوكس Amphioxus وهو من ابسط الحيوانات البحرية تركيباً بل ربما كان الحلقة الفاصلة بين ذوات الفقر والحيوانات الرخوة يتمتع بالذاكرة على الرغم من انه عادم الدماغ واعمى لا يتأثر بالنور.

والجماد له ذاكرته فان بعض شفرات الفولاذ اذا طبعت عليها آثار الاصابع مثلاً ومسحتها ثم عدت بعد ايام وعرضتها للضوء الشديد فان تلك الآثار تظهر ثانية.

ولنعد الى الذاكرة البشرية فهي اذن مقيمة في كل مكان من الدماغ يتصل فيه خيط عصبي للحس بخلية كبرى من المادة السنجابية. وان هي الا بقية احاسيس قديمة، بقية قادرة على الدوام ان تنبعث ثانية بتأثير تهييج جديد.

لا ريب في ان تفهم الذاكرة على هذه الطريقة التشريحية لا يعطينا مفتاح السر ولا نزال بعيدين عن ادراك هذه المقدرة الغريبة التي تستطيع بها احاسيسنا ان تتوارى وتزول ردحاً من الزمن — قد يطول وقد يقصر — ثم تطلع علينا ثانية. ولكن حسبنا الى حد ما اننا ما عدنا نفهم الذاكرة كوحدة لا تتجزأ كما كانوا يفهمون.

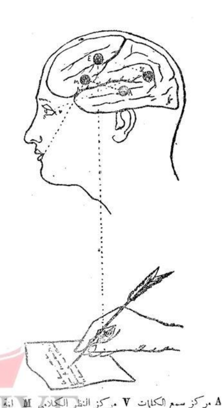
وتعريف الذاكرة يسوقنا حالاً الى تعريف الشخصية فان «انا» يبدو بعد هذا كمجموع اميالنا الموروثة واحساساتنا السابقة اي مجموع معارفنا. ان ضمير المتكلم عندما نلفظه، معناه كل ماضينا العقلي وقد استيقظ باحساس جديد. «انا اشعر بوخزة ابرة في يدي» معناه فسيولوجياً هكذا: اعصاب الحس في يدي حملت الساعة، الى بعض الخلايا الموجودة في القسم الاوسط من التلافيف الجبهية والصدغية، احساساً حاداً، وهذا الاحساس ايقظ في قشرة دماغي ذاكرة احساسات سابقة من النوع ذاته، وهذه الاحساسات السابقة احست بالزائر الجديد وادركت وجوده وتعرفت اليه.

فيمكن اذن تعريف الشخصية انها ذاكرة الاحساسات القديمة المتنبهة بالاحساسات الجديدة التي تضاف اليها على الدوام.

وللذاكرة مزية اخرى فهي الاداة الاصلية للارادة. ان الارادة هي المقابلة او المقايسة اذا شئت بين احساس جديد مندفع يصحبه ميل شديد الى العمل والمعارضة القديمة المتجمعة بالوراثة في خلايانا الدماغية، فينتج عن هذه المقايسة صراع يتغلب فيه القوي على الضعيف كما هي شرعة الطبيعة فاذا كان الرجل من الذين لم تثقلهم الوراثة الفاسدة وقد عاش في بيئة صالحة فان المعارف الحكيمة التي اكتسبها من خبرة اسلافه ومعلميه وخبرته نفسه تتغلب بسهولة على الدوافع الشديدة والاعمال المنعكسة البهيمية. ولكن ابن السكير مثلاً الذي عاش في خصام دائم بين الام والاب واحتك مذ شب عن الطوق بعشراء السوء فهذا لا يستطيع الافلات من قبضة الخناس الذي يوسوس في صدور الناس. وقد اشرنا الى شيء من هذا في مقالنا عن الطب والقضاء.

بعد ما ذكرناه لك لا اظنك ايها القارئ، تطلب مني ان ادلك على مركز الادراك في الدماغ وهو بلا ريب في كل ناحية من القشرة لان معناه الاساسي اشتراك صور وافكار ومقابلة وحكم. وعمله مضمون بالالياف الفرعية العديدة التي تضم — بالملاسة — خلايا الحس والحركة وايضاً الخلايا المشتركة التي تمر في كل مكان من القشرة لتقرب بين نواحيها المتباعدة في الظاهر وتجمع بينها بالوظيفة وعلى هذا الوجه يتم اتصالنا بالعالم الخارجي.

وزيادة في بيان هذا الاتصال اقدم لك هذا الرسم ٣. (نقلاً عن الاستاذ «كراسه» استاذ الطب في جامعة مونبليه سابقاً) الذي يجلو لنا بعض الجلاء وظيفة النطق في الانسان.



A مركز سمع الكلمات V مركز النظر الكلامي M آلة النطق
E مركز الحركات اللازمة للكتابة .

•

اول ما يتنبه في الوليد الجديد منطقة A اي سمع الكلمات فهو لا يرى بعد ولكنه يهتز للاصوات التي تكتنفه . في هذه المنطقة يبدأ «رامسمال» دماغه بعناصر النطق الاولى وفيها تطبع الصور السمعية ، صور المقاطع التي تتركب منها الكلمات . وهذه المنطقة A مشتركة مع M اي تلفيفة بروكا التي تهيمن على حركات الحنجرة واللسان والفم المؤدية الى لفظ الكلمات .

فانظر ما يحدث عندما يبدأ الطفل بلفظ مقطع « ما » الذي بالتكرار سيصل به الى مناداة امه «ماما» : يكررون على الطفل بلا انقطاع هذا المقطع ، وفي كل مرة تهز هذه الموجة الصوتية الواصلة لاذنه اطراف عصب السمع في مداه حتى القشرة في المنطقة A . ولكن هذا الاهتزاز يحاول ابداً الافلات فهو ككل قوة تدخل فينا فانها تريد الخروج اي ان الاحساس يطلب التحول الى عمل (راجع المقال السابق) . اذن لا تقف الموجة العصبية عند A الا مايكفي لتترك تذكارها وتكمل طريقها تابعه اسلاك الاشتراك A-M حتى M . وبعد ايام من هذا التمرين تكون الطريق قد عبدت وحركات الحنجرة واللسان والفم الضرورية للفظ المقطع « ما » قد اتسعت وتوافقت وبعد تجارب عديدة وتلمسات كثيرة يلفظ فم الولد « ماما » لفظاً ميكانيكياً ليس فيه شيء من الحنان بل بقصد التقليد وارجاع ما اخذ واتمام فعل منعكس .

وبعد زمن تتحد هذه الكلمة الملفوظة على هذه الوجه مع الصورة البصرية لذاك الشخص الذي يقدم الغذاء والعناية والدفء . وتأخذ كلمة « ماما » معناها الحقيقي .

والمجال اضيق من ان يسمح لنا بالاسهاب في تحليل آلة النطق الواسعة التركيب وما وصل اليه الاطباء بدرسهم انواع الشلل الذي يصيب آلة النطق ويعطلها . ولولا هذا الدرس لما كان للانسان فكرة عن كيفية نطقه او ارادته او تفكيره او عمله[1] .

هنا يحق للقاريء ان يتساءل ، والنفس ما تصنع بها . والى اي حضيض من المادة نتهادى اذا كنا لا نرى في العقل سوى آلة افعال منعكسة معقدة التركيب ، كثيراً او قليلا ؟ .. نعم قد يقع الطبيب تحت المشراط على مناطق مركزية والياف اشتراك يساعدنا سير عملها على فهم حركة القوى العقلية اكثر واوضح مما كان يفهمه اباؤنا ولكن اما للانسان نفس خالدة ، ام كل شيء مقيم في هذه الخلايا الدماغية ، في هذه العصابين التي اطلعنا العلم على شكلها وصلاتها ووظيفتها ؟ ...

قلنا قبلاً في تعريف الشخصية انها ذاكرة الاحساسات القديمة المتنبهة بالاحساسات الجديدة التي تضاف اليها على الدوام اي ان شخصيتنا مؤلفة من اميال ورثناها ومبادىء اكتسبناها بواسطة الحواس التي هي المنبع الوحيد للمعرفة لانه لا يمكن ان يكون لنا علاقة بالعالم في غير ما تقدمه شبكية العين واطراف اعصاب السمع والشم والذوق وتلك الباقة من الاعصاب الموجودة في جلدنا واغشيتنا وعضلاتنا ومفاصلنا واوتارنا . كل هذه الاعصاب الناقلة للحس المنتشرة على سطح الجسم لا يمكنها ان تحمل الى دماغنا سوى اهتزازات عصبية نسميها احساساً باللون او بالشكل او بعلو الصوت او نبرته او بالشم ، او بالذوق ، او بالثقل ، او بالتماسك ، او بالحر ،

---

(١) هذا الشلل قد يحدث بنزيف دماغي يعطل منطقة بروكا M . واذا تعطلت منطقة النظر « للكلمات » لا يمكن ادراك معنى ما يقرأ . واذا اصيبت منطقة السمع اي A فقد تعطل سمع الكلام . وقد عرف اليوم ان تعطيل منطقة نظر الكلام يكفي ليمنع الكتابة وكذلك اختلال السمع الكلامي يؤثر في كل آلة النطق . ويمكن القول ان كل مقطع من كلمة من اية لغة نتكلمها له مركزه في احدى الخلايا القشرية في A او V او M او E .

— التتمة في الصفحة ٤٢ —

يا حبيب النفس

✡

يا حبيبَ النفس قد آلمتَ نفسي
فشربتُ المرّ في ايام عرسي
في شبابي الغض في اشراق شمسي
فـذوى عودي ولمّا يأت عرسي
يا حبيبَ النفس قد آلمت نفسي

حلم صار بدنيـا الذكريات
كان في قلبي زمـاناً ثم فـات
إيه ، قلبي ، هـكذا شأن الحياة
فتأسى ربمـا يجـدي التـأسي
يا حبيب النفس قـد آلمت نفسي

* * *

نكأ الجرحُ على طول البعـادِ
بعـد إذ خنتَ مواثيق الوداد
عهد احـلامي وافراح فؤادي
أفـلا ترحم اسقـامي وبؤسي
يا حبيب النفس قـد آلمت نفسي

يا ليـالي الوصل احـلام السعودِ
اين انت الآن من دنيـا الوجود
طفتِ في فكري حنانيك فعودي
رحمـة بي انني اطيـاف نحس
يا حبيب النفس قـد آلمت نفسي

* * *

لم أخنْ عهداً وان اخلفت عهدي
زادني هجرك وجداً فوق وجدي
لم تجـد مني سوى حبي وودي
لك – يا قلبي ويا اسباب نكسي
يا حبيب النفس قـد آلمت نفسي

يا دموعـاً أهرقت عند المساء
هل دموع انتِ ام انت دمـاء
شرقت نفسي واحـلامي ظماء
ويح نفسي انني انكرت جنسي
يا حبيب النفس قـد آلمت نفسي

* * *

يا ضـلال الدوح يازهر الربيعْ
يا جمـال الكون ذي الفن الرفيع
يا رُوى الروضة والورد البديع[1]
كم وقفنـا خشعاً عندك امس
يا حبيب النفس قـد آلمت نفسي

ألم عضّ على قلبي بنـابِ
وانا ابن الصبا غض الاهـاب
ذُهل الناس فلا يدرون مـا بي
فتعـثرت كأني صرت أخسي
يا حبيب النفس قـد آلمت نفسي

* * *

عُشُب جاءت عـلى اطلال عشب
مثل حب ضـاع في آثار حب
صفّق المـاء وكم صفق قلبي
فذكرت العيش في سعدي وانسي
يا حبيب النفس قـد آلمت نفسي

ان من يلقى من الاحزان حزني
ترك الدنيـا بلا شوق وكنّ
ساخطاً حيران فيهـا غير أني
قائل : لا بـد ان يبرح بؤسي
يا حبيب النفس قـد آلمت نفسي

بغداد غائب طعمه الاعرمي

1) جمع رواء وهو الحسن

الرمزية في شعر امرىء القيس

بقلم عدنان الذهبي

☆



كان ثمت في الادب مذهب هو اقرب المذاهب كلها الى اجواء النفس البشرية ، فهذا المذهب هو المذهب الرمزي غير مدافع . ويكفي للدلالة على هذا ان نرى الرمزية لا تعتبر الاشياء الحسية الا ما ترمز اليه من اشياء معنوية ، وانها نفسها حين تستعمل رموزها — والرمز موضوع حسي معتبر كاشارة لموضوع معنوي لا يقع تحت الحواس — لا تستعملها لذاتها ، بل تعدها وسيلة ضرورية تحقق بها غاية قصوى هي في نظرها اجدى من ابراز صورة الحقيقة المادية ، وهذه الغاية هي ابراز الحالة النفسية التي كان يعانيها الشاعر حين نظم شعره : فكرة كانت هذه الحالة النفسية او عاطفة او احساساً حدسياً .

وهذا المفهوم الصحيح للرمزية الحية نجده نفسه يتمثل في مقطوعات عدة عثرنا عليها في الديوان المنسوب لامرىء القيس . وسنفصل القول الآن في قصيدتين لم نشك[1] الا في صحة بعض ابيات منها، كما سنمر مسرعين بقصيدة ثالثة قد شككنا في صحتها كلها ، ولا ننسى بين هذا وذاك ان نعرض بقية المقطوعات الرمزية التي وجدناها في القصائد الثانية .

ولا بد لنا لنا قبل هذا من ان نشير الى نوع خاص من انواع الرمزية قد وجدناه ايضاً في ديوان شاعرنا هذا : وهذا النوع هو رمزية الالغاز والاحاجي . وهو يتمثل في القصيدة السينية التي دارت بين امرىء القيس وبين عبيد حين سأل عبيد امرأ القيس :

ما حبة ميتة احيت بميتتها   درماء ما انبتت سنا واضراسا ؟؟ .

فاجابه امرؤ القيس :

تلك الشعيرة تسقى في سنابلها   فاخرجت بعد طول المكث اكداسا .

وفي القصيدة يسأل عبيد امرأ القيس مثلاً :

ما القاطعات لارض الجو في طلق   قبل الصباح وما يسرين قرطاسا ؟؟ .

فيجيبه امرؤ القيس :

تلك الاماني يتركن الفتى ملكاً   دون السماء ولم ترفع به راسا . . .

ونجده ايضاً يسأله :

ما الحاكمون بلا سمع ولا بصر   ولا لسان فصيح يعجب الناسا ؟؟ . .

فيجيبه امرؤ القيس :

تلك الموازين والرحمن انزلها   رب البرية بين الناس مقياسا . . .

الخ . . . من ابيات هذه القصيدة الطويلة التي نضرب صفحاً عن تحليلها وشرحها . وذلك انه علاوة على ان اثر الانتحال ظاهر في الفاظ القصيدة واساليبها ومعانيها ، فهي نفسها لا يمكن ان تكون ثمرة تلك العقلية البدوية التي رأيناها لا تعرف شيئاً عن عالم السر : هذا العالم الروحي الذي كانت الجاهلية تفتقده حتى في دياناتها . كما اننا لا ننسى ان نقول ان رمزية الالغاز والاحاجي هي ابعد انواع الرمزية عن حقيقة الرمز الفنية . وها نحن اولاء ننتقل منها الى دراسة تلك المقطوعات التي اشرنا الى انها تمثل المفهوم الصحيح للرمزية .

واما القصيدتان ، ومطلع القصيدة الاولى :

---

(١) قد امسكنا عن نشر ابواب عدة قد عقدناها في سلسلة ابحاثنا هذه، درسنا فيها حياة الشاعر ، ونفسيته ، ومسألة الوثوق من النصوص الادبية التي نعتمد عليها ومسألة ربط هذه النصوص بنفسية الشاعر وحياته وغير ذلك . . . ونكتفي هنا بالاشارة الى هذا .

قد اشهد الغـارة الشعواء تحملني   جرداء معروقة اللحيين سرحوب

ومطلع القصيدة الثانية :

أمن ذكر سلمى اذ نأتك تنوص   فتقصر عنهـا خطوة وتبوص

فهما في الحقيقة خير مثال للرمزية الفطرية الحقيقية . نرى الاولى وقد ذهب امرؤ القيس فيها يصور لنـا باسلوب رمزي ، متقطع ، احاسيسه وخلجاته وهو على ناقته الضامرة تلك ، ونرى القصيدة الثانية وقد ترك لنا امرؤ القيس فيها ، الى جانب صور خلجاته واحاسيسه على ناقته تلك ، صورة نفسية ثانية في صورة ما كان قد كبته حين ترك حبيبته سلمى ، فاستحالت هذه العواطف المكبوتة تصورات ورموزاً هي ما سنقف عليه بعد قليل .

اما القصيدة الاولى وعدة ابياتها ستة عشر بيتاً فابياتها الاربعة الاولى لا رموز فيها ولا رمزية ، ولكننا نستطيع ان نعتبرهـا مقدمة تحملنا الى الجو الذي بعث في خيال امرىء القيس رموزه التي سربلت باقي القصيدة . وهذه هي القصيدة[1] :

قد اشهد الغارة الشعواء تحملني   جرداء معروقة اللحيين سرحوب
كأن صاحبها اذ قام يلجمهـا   مغد على بكرة زوراء منصوب
اذا تبصرهـا الراؤون مقبلة   لاحت لهم غرة منهـا وتجبيب
وقافها ضرم وجريهـا جذم   ولحمها زيم والبطن مقبوب
واليد سابحة والرجـل ضارحة   والعين قادحة واللون غربيب
والماء منهمر والشـد منحدر   والقصب مضمر والمتن ملحوب
كأنها حين فاض الماء واحتفلت   صقعاء لاح لها بالقفرة الذيب
فأبصرت شخصه من فوق مرقبة   ودون موقعها منه شناخيب
فاقبلت نحوه في الجو كاسرة   يحثها من هويّ الريح تصويب
صبّت عليه وما تنصب من امم   من الشقاء على الاشقين مصبوب
كالدلو ثبت عراها وهي مثقلة   اذ خانها وذم منها وتكريب
لا كالذي في هواء الجو طالبة   ولا كهذا الذي في الارض مطلوب
كالبر والريح في مرآهما عجب   ما في اجتهاد على الاصرار تعييب
فادركته فنـالته مخاليبهـا   فانسل من تحتها والدف معقوب
يلوذ بالصخر منها بعدما فترت   منها ومنه على الصخر الشآبيب
ثم استغاثت بمتن الارض تعفره   وباللسان وبالشدقين تتريب

وهي كما ترى قصيدة رمزية توحي لنـا بفكرة حية عن احاسيس امرىء القيس حين كانت ناقته تطوي به الآفاق . وانا لا انكر ان هذه القصيدة قد تبدو للنظرة الاولى قصيدة مفككة لا موضوع لها ولا وحدة فيها . مثل ذلك اننا نستطيع ان نتساءل عن علاقة الناقة بفيضان الماء او علاقة الماء بالصقعاء او المـاء بالذيب او غير ذلك . كما اننا نستطيع ان نتساءل عن الماء نفسه ماذا يعني به امرؤ القيس ! ! ! ولكن اذا نحن اقلعنا عن عادتنا التي اعتدناها في دراسة الشعر العربي والتي هي دراسة كل بيت بمفرده ، واذا جربنا ان نعيش في جو القصيدة كلها لنرى ما عسى ان توحي الينا بمجموعها ، رأينا القصيدة تصور لنا بوضوح تام خطوات خيال امرىء القيس الذي كان يلقف كل ما كانت توحي به اليه احاسيسه وهو على ناقته تلك .

لنسر مع الابيات الاربعة الاولى نرَ امرأ القيس يحملنا ببساطة الى جوه الخاص ليرينا انه كان على ناقة ضامرة طويلة ، وانه شبه نفسه وهو عليها بدلو على بكرة ، حتى اذا ما جرت به وحتى اذا ما احس بان جريها سريع وان وقافها نار — وربما مسه اذى هذه النار — رأيناه يندفع في تصوير خلجاته متنقلاً من صورة الى صورة ومن رمز الى رمز غير آبه بالصورة الاولى التي اوجدت فيه سلسلة رموزه : وهذا لعمري من خصائص الاسلوب الرمزي . قـال امرؤ القيس :

قد اشهد الغـارة الشعواء تحملني   جرداء معروقة اللحيين سرحوب
كأن صاحبها اذ قام يلجمهـا   مغد على بكرة زوراء منصوب
اذا تبصرهـا الراؤون مقبلة   لاحت لهم غرة منهـا وتجبيب
وقافهـا ضرم وجريهـا جذم   ولحمها زيم والبطن مقبوب

اذن ها هو امرؤ القيس الآن على ناقته ، وها هي ناقته تسير به بسرعة فائقة حتى كأنها حين تضطر الى الوقوف او انهـا حين تقف تكويه بشرارها المتطاير وتؤلمه . . . ولكن هل تراها تؤلمه في سيرها وجريها ايضاً ؟ ! . . . الحقيقة انها حين تجري به توفر له كل اسباب الراحة ، حتى كأنها لا تجري او انها تسبح سبحاً !! . . ولكن اذا كان امرؤ القيس يشعر براحة وطمأنينة عـلى ناقته فناقته التي تسبح في الماء تتعب وتتعب ، فرجلها ضارحة وعينها قادحة في هذا الماء الذي تسبح فيه : فهذا المزيج من نوافر الاضداد ، راحة امرىء القيس وطمأنينته ، وتعب ناقته وخوفها ، هو الصورة النفسية المعقدة التي توحيها الينا بقية الرموز :

واليد سابحة والرجل ضارحة   والعين قادحة والمتن ملحوب
والماء منهمر والشد منحدر   والقصب مضمر واللون غربيب

وكأني بصورة الماء قد استأثرت بخيـال شاعرنا وعواطفه فاندفع في بقية القصيدة يصور خلجاته التي اشرنا اليها بما تجره هذه الرموز التي اوجدتها في خلد شاعرنا سرعة ناقته . فها هي الناقة ما تزال تكد وتكدح وسط هذا الماء الذي الجأها اليه خيال امرىء القيس ، وها هو امرؤ القس ما يزال يشعر براحته وبتعب ناقته من

(1) نحن نورد القصيدة كما جاءت في الديوان الذي جمعه السيد حسن السندوبي تحت عنوان « ديوان امرىء القيس — واخبار المراقسة » .

جهة وبطمأنينته وبخوفها من جهة ثانية . . . وها هو الماء يفيض ، وها هي الناقة تمخر ، مسرعة وجلة تبغي النجاة ، وها هي صورة الخطر التي تجمدت في خيال امرىء القيس توحي الى امرىء القيس برموز جديدة : صورة الصقعاء والذيب .

كأنها حين فاض الماء واحتفلت صقعاء لاح لها بالقفرة الذيب

وليس غريباً ان يصل خيال امرىء القيس الى صورة الخطر وهو يصف احاسيسه وخلجاته على ناقته . بل هو نفسه قد قال لنا في مقدمة القطعة انه كثيراً ما يشهد الغارة الشعواء بمثل هذه الناقة . ولكن كما انه الآن لا يشهد غارة ولكنه يعاني احاسيسه التي نشرحها وهو على ناقته لذلك ظلت فكرة الخطر ضعيفة ولذلك رأينا مسرح وعيه كله يتحول الى تصوير خلجاته واحاسيسه تلك بعكس ما سنراه بعد قليل في القصيدة الثانية .

اذن هذه الصقعاء وهي ناقته ابصرت ذئباً ولكنها ابصرته عن بعد .

فابصرت شخصه من فوق مرقبة ودون موقعها منه شناخيب

وهذا رمز يدلنا على ان امرأ القيس كان ينجد ويغور بناقته . واما ناقته فما تزال تقطع القفار وهي في خطر وسط هذه المياه وقرب ذئب ضار ، عليها ان تتخلص منه : وها هي تقبل نحو هذا الخطر تريد ان تمزقه لتتخلص منه :

فاقبلت نحوه في الجو كاسرة يحثها من هوي الريح تصويب

وها هي تتحفز وتجمع قواها لترديه :

صبت عليه وما تنصب من امم ان الشقاء على الاشقين مصبوب

وها هي فوق الارض قد وقفت عن السير تتلهى بفريستها . . ويبدو انها وقفت على حين غرة او بصورة مزعجة : الامر الذي ترك في نفس شاعرنا اثره السيء بعد ان كان في راحة وطمأنينة ، فصور هذا الوقوف بهذه الصورة الخشنة التي ترمز الى مقدار ما ازعج امرأ القيس من هذا الوقوف : صورة الدلو المثقلة التي تنفلت من اذنيها فتهوى بكل ثقل :

كالدلو بتت عراها وهي مثقلة اذ خانها وذم منها وتكريب

ثم يتحسس امرؤ القيس حوله فيجد نفسه على الارض ! ! . فاين الماء واين الصقعاء واين الذئب ؟ ؟ . . . اما الصقعاء فقد ادركت ذئبها وانشبت فيه اظفارها — وهذا رمز يشير الى مقدار تعب ناقته — واما الذئب فقد انسل وقد جرح دفه .

فادركته فنالته مخالبها فانسل من تحتها والدف معقوب

واما امرؤ القيس فها هو على الارض : لا ماء عنده ولا خطر : فالذئب قد هرب والمياه قد غاضت :

يلوذ بالصخر منها بعد ما فترت منها ومنه على الصخر الشآبيب

واما ناقته فها هي امامه على الارض المقفرة المرملة وقد اخذ منها التعب مأخذه فاستغاثت بمتن الارض معفرة بشعثاء :

ثم استغاثت بمتن الارض تعفره وباللسان وبالشدقين تتريب

فهذه هي قصيدته الرمزية الاولى . وهنالك امثلة عديدة في الديوان تصور لنا هذا النوع من الرمزية الحية . مثل ذلك قول امرىء القيس يتكلم عن ناقته :

وللسوط فيها مجال كما تنزل ذو برد منهمر
لها وثبات كوثب الظباء فوادٍ خطاء وواد مطر

حيث نرى السوط بادىء ذي بدء يهوي على الناقة كما يهوي البرد المنهمر . وهذا تشبيه مادي عادي ، ولكن المهم هو ان هذه الصورة الاولى جرت في خيال امرىء القيس صوراً اخرى صوّر فيها خلجاته على ناقته تلك . وهذه الصور هي صورة السحابة تتخطى وادياً وتمطر في واد آخر وهذا رمز يشير الى ما كان يخامر نفس امرىء القيس وهو على ناقته التي تارة تسرع وتارة تتمهل في السير مما يضطر معه الى استعمال السوط .

ومثل هذا قوله الجميل يخاطب حبيبته فاطمة :

وانك قسمت الفؤاد فنصفه قتيل ونصف في حديد مكبل

حيث نرى الشاعر يتأرجح بين نوعين من العاطفة التي يشعر بها كل محب : عاطفة الفناء في الحب وعاطفة الرغبة في الحياة من اجل الحب . اما عاطفة الفناء هذه فتتمثل في هذا النصف القتيل واما عاطفة الرغبة في الحياة فتتمثل في هذا الرمز البديع (نصف في حديد مكبل) : انه يريد ان ينهض ولكن هيهات له ان ينهض انه يعاني ما يعاني منها وقد تعب ورانت عليه الهموم حتى كأنه مكبل . . .

ومثل هذا ايضاً قوله يتكلم عما اعد للحرب الى جانب الناقة :

وذا شطب غامضاً كلمه اذا صام بالعظم لم ينأد

حيث نرى عاطفة امرىء القيس الجياشة ترفرف على السيف وتود لو ترافقه لترى ما عسى ان تحدثه في الاجسام . وفعلاً ها هي تتغلغل الى اعماق الجراحات فترى ان هذه الكلوم غامضة : والكلم لا يمكن ان يكون غامضاً او واضحاً ولكن الغموض

والوضوح شيئان يرجعان الى النفس والى النفس وحدها .

وهناك ايضاً قسم كبير من قصيدة لامية طويلة منسوبة لامرىء القيس تصور لنا ناحية هامة في رمزية امريء القيس وهذه الناحية هي مخاطبته الالحان والالفاظ وهي تتمثل في القصيدة التي مطلعها :

لمن طلل بين الجدية والجبل   محل قديم العهد طالت به الطيل

وفيها نسمع امرأ القيس بعد ان يصف الاطلال وبعد ان يتغزل فيسمعه يقول :

وكاف وكفكاف وكفي بكفها   وكاف كفوف الودق في كفها اضمحل

وسل تسل وسل سل ثم سل سل وسل وسل   وسل دار سلمى والربوع فكم أسل

الخ ... حيث نرى صورة الوعي الباطن في خطوطها الرئيسية المشوشة تظهر لنا هذا الاسى الذي كان يكمن في خلد شاعرنا رغم ان القصيدة كلها ضاحكة لاعبة عابثة ...

والآن لننهي هذا البحث بتحليل القصيدة الثانية التي اشرنا اليها قبل ومطلعها :

امن ذكر سلمى اذ نأتك تنوص   فتقصر عنها خطوة وتبوص

وموضوعها يقتصر على ذكر الحبيب — وهذا في مطلع القصيدة — ثم على وصف الناقة وسرعتها — وهذا في الجزء الاخير وهو يبدأ من قوله — :

فدعها وسل الهم عنك بجسرة   مداخلة صم العظام اصوص

ونحن لا نثبت هنا نص القصيدة برمتها لان فيها مجالاً واسعاً للشك بل نكتفي بأن نثبت هنا القطعة الرمزية وحدها . وهذه القطعة هي في الجزء الثاني جزء وصف الناقة ووصف سرعتها . يقول امرؤ القيس :

كاني ورحلي والقراب ونمرقي   اذا شب للمرو الصغار وبيص

على نقنق هيق لـه ولعرسه   بمنعرج الوعساء بيض رصيص

اذا راح للادحي اوباً يفنها   تحاذر من ادراكها وتحيص

أذلك ام جون يطارد آتنا   حملن فادنى حملهن دروص

طواه اضطمار الشد فالبطن شازب   تعالى الى المتنين فهو خميص

الخ ... وهذه قطعة رمزية تصور لنا كما قلنا فوق احاسيس شاعرنا على ناقته ، ما كان كبته من عواطف مختلفة حين تركته حبيبته سلمى . وها نحن نستعين بالقطعة الاولى الواضحة لنرى ما كانت حالته ازاء سفر سلمى : اما هو فانه يحب سلمى وهي قد نأته بالرغم منه وهذا النأي قد لا يرجى بعده وصل لبعد الشقة التي تفصل بين الحبيبين ... الخ ... من هذه الاحزان والهموم التي قال حين شعر بثقلها على نفسه :

فدعها وسل الهم عنك بجسرة   مداخلة صم العظام اصوص

ثم انتقل الى وصف ناقته كعادة الشعراء فحشد لنا الاوصاف المادية الحسية ، ولكنه لم يستطع رغم وراثته الادبية ان يكبت عواطفه ، بل ذهب نفسه يصور الى جانب تصوير سرعة ناقته ، يصور احاسيسه الحدسية التي كان يشعر بها وعواطفه المكبوتة التي كانت تلعب في الظلام .

واما احاسيسه فهي هنا ترينا انه كان يتأرجح بين راحة وسكون وتعب وحركة يدلنا على هذا ، اختيار صورة النعامة الساجحة من جهة ثم صورة الحمار الوحشي الذي يقفز قفزاً من جهة ثانية . ونحن لا نريد ان نطيل الوقوف هنا لتفصيل هذا فشرحنا للقصيدة الاولى يصح ان يكون مثالاً يحتذى في شرح هذه القصيدة الثانية من ناحية اظهار احاسيس امرىء القيس وخلجاته المختلفة على ناقته . ولكن المهم الآن هو وقوفنا على الصورة النفسية الثانية التي تحل المكانة الاولى في هذه القطعة . قال امرؤ القيس حين وصف سرعة ناقته :

كأني ورحلي والقراب ونمرقي   اذا شب للمرو الصغار وبيص

على نقنق هيق لـه ولعرسه   بمنعرج الوعساء بيض رصيص

اذا راح للادحي أوباً يفنها   تحاذر من ادراكها وتحيص

وقد يظن ان هذا التشبيه الاول يقصد منه تشبيه الناقة بالنقنق فيكون حينئذ التشبيه غير رمزي . وقد ذهبت بادىء ذي بدء الى هذا الظن وشككت في المسألة قبل ان يدفعني اليها غيري ولكن نظرت فوجدت ان هذه الصور الحسية لا يراد منها تشبيه الناقة بالظليم او تشبيه الظليم بالنعامة ثم تصوير النعامة التي تخشى على اطفالها فتسرع كل السرعة لتدركهم قبل ان تنالهم العقبان وغير ذلك . ولكن التشبيه هنا تشبيه رمزي لا يصح قط ان نتقيد حين نفصله بمدلول الفاظه بل يجب ان نعتبره في مجموعه اشارة الى شيء نفسي . ونحن لا نعدو الواقع حين نقول هذا فامرؤ القيس نفسه يقول « كأني على نقنق » وهذا القول وحده يخرج التشبيه من حدود المادة الى اجواء النفس حيث نرى شاعراً يتحسس ونفساً تشعر ... ثم فلندقق في هذه الصور المتشابكة فماذا نجد ? ...

نجد صورة ناقة تشبه بسرعتها ظليما وهذا الظليم يشبه نعامة وهذه النعامة بدورها مطفل، واطفالها في خطر وعليها ان تسرع لتدركهم فما وجه الشبه بين هذا وبين الناقة انّه لم يكن في تصوير السرعة. الحقيقة ان الناقة لا علاقة لها بالمسألة ولكن العلاقة كلها هي مع نفس الشاعر ذاته التي هي في حالة خاصة . ونحن اذا نظرنا في لاوعي امرىء القيس هذا رأينا انواعاً وانواعاً من العواطف المكبوتة تلعب وتريد ان تظهر الى النور. اما العاطفة الاولى فهي هذا الحب الابوي الطاهر ، هي هذا الحنان ، هي هذه الرأفة هي هذه الرموز التي اوجدت فيه الى جانب صورة السرعة صورة هذه الام المطفلة التي تحب اولادها وتخشى عليهم وتسرع تريد ان تحتضنهم خشية كل اذى . . . ولكن ليست هذه العاطفة هي وحدها التي كانت تلعب في لاوعيه بل هو نفسه يقول بعد هذا متسائلًا عن حقيقة احاسيسه على ناقته وحقيقة تصوراته :

اذ لك ام جون يطارد آتُناً حملن فأدنى حملهن دروص

وهذا الرمز وكل الرموز التي تليه تصور لنا هذه العواطف الانسانية التي لا نستغرب وجودها عند امرىء القيس . وهذه العاطفة هي العاطفة الغريزية هي هذه الشهوة الجسدية ، هي هذا الحب الجنسي الذي كان يهزه في اعماقه حين تأته سلمى . . . والظاهر ان هذه العاطفة اقوى من سائر العواطف المكبوتة فلذلك أبناه في بقية القصيدة يصورها بصور مختلفة مما لا يصعب الوقوف عليه .

وهكذا اذن نرى كيف ان الصور لم تعد غاية في ذاتها وانما اصبحت وسيلة لغاية ابعد مرمى واعمق غوراً الا وهي تصوير الحالات النفسية كلها الواعية منها واللاواعية . . . وهكذا نرى ايضاً كيف ان هذه الصور منها ما جره في خيال امرىء القيس احساس حدسي فقط ومنها ما كان وليد عواطف مكبوتة ظلت تعمل في الوعي الباطن . . .

وان كنت اتعجل الآن لاقول اني لم اجد في الجاهلية من يضاهي امرأ القيس في خلق الرموز فيحق لي لعمري ان اعتبر امرأ القيس مدرسة استطاعت ان تصمد امام مدرسة عبيد الشعر (الزهيريين) أولئك الذين بحكم مبادئهم الفنية قلّت رموزهم وندرت كما سنرى هذا في العدد المقبل . . . فالى اللقـاء في حديقة المدرسة الزهيرية . . .

القاهرة عدنان الذهبي

تتمة الطب وعلم النفس

او بالبرد ، او بالحركة او بالسكون فيبدو المرء كأنه غارق في اوقيانوس من الاهتزازات المختلفة التي لا تلبث ان تتحول عندما تلامس اعصابنا الى اهتزازات عصبية وتصل على هذه الصورة الى قشرة الدماغ مركز الوعي والادراك .

هذه الاهتزازات التي تلم بنا وتغيرنا ابداً من حال الى حـال هي كل ما نعرفه عن العالم . اهتزازات ماذا ؟ ربما اهتزازات المادة. نقول ربما ، لاننا لانعرف عنها شيئاً فكل علمنا من الاشياء مقصور على الصفات الخارجية اي الشكل واللون والرائحة والطعم وما الى ذلك ولا مرجع لنا سوى حواسنا وحواس اشباهنا من الناس .

الى هنا ينتهي بنا العلم وهذا آخر ما هدانا الى معرفته وليس في وسعه الجزم اذا كانت الطبيعة خلقة آله قادر لا تزال عنايته ساهرة علينا ، واذا كانت هذه الخلايا التي تتألف منها قشرتنا السنجابية تطيف عليها نفس حرة خالدة . لا الله ولا النفس في متناول الحواس لانه ليس لهما صفات المادة .

يقول « غوته » في جواب فوست على توسلات مرغريت الطافحة بالتقوى والحنان : « من يجسر ان يسمي الله ويقول اني اؤمن به، ومن هو الرجل العاقل الذي يمكنه ان يتحمل تبعة القول : لا اؤمن به» .

ويقول موسه في قصيدته « الامل بالله » .

« اذا كانت السماء قفـراً فنحن لا نجدف عـلى احد»
« واذا كان هناك من يسمعنا فليشملنـا برأفته »

ويقول المعري :

زعم المنجم والطبيب كلاهما الا معاد ، فقلت ذاك اليكما
ان صح قولكما فلست بنادم او صح قولي، فالوبال عليكما

على ان هناك علماً آخر غير العلم الطبيعي هو اللاهوت وله طرقه الخاصة التي تفسح له المجال لاثبات بعض الحقائق بالوحي او الايمان فاذا لم تختلط الطريقتان ولم يتعد الواحد منهما على الآخر فالعلم والدين يمكنهما ان يعيشا جنباً الى جنب لاداء مهمتها السـامية ، وتخفيف آلام الانسانية . تبين لنا مما مر ان علم النفس قد تقدم بين ايدي علماء الفسيولوجيا واطباء السرير تقدماً محسوساً واكتسب من الدقة ما لم يكن يحلم به لنصف قرن خلا .

ومذهب المركزيات الدماغية ومعرفة الخلية العصبية وصلابتها ودرس التأثيرات النفسانية وتنوعات قوة العمل الدماغي جعل من علم النفس علماً صحيحاً منظماً بل يحق ان نسميه بعدل اجمل فصل من فصول التاريخ الطبيعي .

نقولا فياض

السنوسية كمذهب تصوف ديني ومذهب تنظيم زمني

بقلم خليل بك الخوري

☆

شيء عن الصوفية : الدين يضع الله سبحانه بمكان اسمى فوق البشر، ويقضي عليهم بتمجيده وعبادته والاستسلام له فلااتصال بمعناه المطلق ولا حب بهذا المعنى ايضاً — والشعور بهذا الحنين الى الصلة والحب شامل الخلق اجمعين، ولعله السبب الحقيقي في الاصل لظهور المتصوفين — فالمتصوف يبغي من تصوفه تقريب المسافة بينه وبين الله ... وفي الواقع ان كل مؤمن يتمنى ان يرى الله ويتصل به كما يراه المتصوف ويتصل به، لاعتقاده ان هذه الرؤية وهذا الاتصال يقلبان حياته ويجعلانه شخصاً جديداً . فلا يتيقن بعد مغادرة هذه الدنيا الوصول الى الله والقرب منه واحراز منتهى السعادة فحسب، بل يغدو في هذه الدنيا نفسها سعيداً جداً — سعادة لا يحدثها الجاه ولا المال ولا العلم ولا اي شيء آخر .

ويشبه المتصوفون المسلمون رهبان النصارى، فالتصوف شائع في النصرانية وقوامه الزهد والتقشف، وكان المسيح زاهداً متقشفاً الى ابعد الحدود، فرأى الله خلال اغراقه في تصوفه وتدلهه بحبه، وقال انا والاب واحد ومن رآني فقد رأى الاب .

يقول الصوفي ان هذه الارض ليست موطننا الدائم، ولذا يجب ان ننفصل عنها في الفترات ونبكي معاصينا ونكفر عنها بالصوم والصلاة والتقشف، ونعطي اموالنا للفقراء والبائسين . والصوفي يحب الله لا حباً منبثقاً من العبودية ومن الاعتراف بفضل الله عليه، بل حباً متبادلاً لا يكون بين عبد ومولاه .

وبعض غلاة الصوفيين اذا ارتقوا الى المقامات العليا ثم الى الاتحاد بالله ثملوا بخمرة هذا الفوز، فصاحوا انهم الله او الحق كما فعل الحلاج وغيره وقتلوا بسببه في عصور الظلم والعبودية .

بحث مقارن : انتسب الشيخ محمد علي السنوسي قبل انشاء الطريقة السنوسية الى عدد غير يسير من الطرق الصوفية، واقبل على دراسة تلك الطرق والوقوف على اسرارها، وكان يهدف الى توحيدها ويرى امكان ذلك لان مرجعها كلها النبي محمد . وما كانت الطرق الصوفية سوى طرق محمدية .

وتختلف الطريقة السنوسية عن سائر الطرق الصوفية ان السنوسي يبغي في تصوفه الاتصال بالنبي لا بالله، وفي هذا يقول السيد احمد الشريف السنوسي الخليفة الثاني . « من اعظم النعم التي اسبغ الله علينا ان شيخنا السنوسي الاول كان يتصل بالنبي عليه الصلاة والسلام، ويتلقى منه البلاغات ثم ينقلها الى مريديه » .

فتعروهم لذلك جذبات، والسنوسيون يستخدمون لفظ الجذبات لا الاحوال، للدلالة على ما يصل اليه المتصوف من الدرجات العليا . فهدف السنوسية اذاً الاتصال بالنبي والاتحاد به . ولقاء النبي والاتصال به له طرق معترف بها بين زعماء وشيوخ الطريقة — طرق يمكن الوصول بها الى ما يسمى الحالات او الاحوال او الجذبات . ومن المجمع عليه لبلوغ ذلك انه يجب على المتصوف اولاً : ان تكون سيرته منطبقة على مقتضى ما نزل في القرآن وما جاء في السنة وثانياً : ان ينكب انكباباً على الصلوات حتى يستحوذ النبي على قلبه فيثير في نفسه اضطراباً يدنيه منه . ويقول اصحاب الطريقة السنوسية ان الاتصال بالنبي عن طريق التصوف ممكن لغير الاولياء اذا استطاعوا اتباع الطرق المقدرة لبلوغ ذلك الهدف العاوي

ان رؤية النبي هي اعظم واعلى ما يبلغه الشيخ او غير الشيخ من السنوسيين — ومتى رآه استطاع الاستنارة بقبسه المتقد والاسترشاد به في حل المعضلات ولقي حظاً عظيماً —

والطريقة السنوسية في نظامها الداخلي تشبه غيرها من الطرق الصوفية، فعندهم الاذكار كما عند غيرهم، على انهم يمنعون استعمال الطبول وسواها من الآلات الموسيقية والرقص والغناء اثناء مباشرتهم مراسم الذكر، وكذلك يمنعون بعض الاساليب التي يستخدمها غيرهم كالحركات العنيفة لاحداث ما يدعونه الحالة .

يقف السنوسي في ذكره خاشعاً منحنياً الى الجانب الايمن، ورأسه مستندة الى يده اليمنى ومسبحته في يده اليسرى، ثم يذكر الاوراد بتؤدة وتمهل .

الورد عندهم ثلاثة انواع الورد الصغير او الخفيف والورد الوسط والورد الكبير، وكل من هذه الاوراد يجب تكراره حسب درجه المريد . وللايضاح نورد شيئاً عن الورد الذي يسمونه

الورد المحمدي ، وهو ثلاثة انواع : النوع الاول : ان تذكر الكلمتين « استغفر الله » مئة مرة . والنوع الثاني : ان تذكر الكلمات « لا اله الا الله » وتكررها في كل غمضة عين ، وفي كل شهيق او زفير « ٣٠٠ » مرة ، او « ١٢٠٠٠ » مرة ، او « ٢٤٠٠٠ » مرة . والنوع الثالث : ان تصلي احدى الصلوات الموضوعة المقررة عند شيوخ الطريقة ، ومن كرر احداها اربعين مرة في اليوم الواحد وفي كل يوم ، فانه يحظى برؤية النبي حتماً كل ليلة .

ويقولون عن النوع الثاني المذكور ، ان العدد « ٣٠٠ » مفروض على اهل التبرك وهم الطبقة الاخيرة من اصحاب الطريقة . اما العدد « ١٢٠٠٠ » فهو خاص باهل الارادة ، وهم الذين يملكون العزيمة على السير في طريق التصوف . واما العدد « ٢٤٠٠٠ » فهو لاهل التجريد ، وهم الذين قطعوا شوطاً طويلاً وتجردوا عن الدنيا ولذائذها .

السنوسية والوهابية : نوه بعض الكتاب بالتشابه بين مبادىء السنوسيين والوهابيين ، وقيل في سبب التشابه انه يعود الى نشأة السنوسي الاكبر في شبه الجزيرة حيث نشأت الوهابية ، وان السيد احمد بن ادريس الذي لقن السنوسي العلم هناك كان قد اقام وعلم زمناً طويلاً في الحجاز . وينفي بعض الكتاب التأثير المباشر ، لانه لم يقم اي دليل على تأثر احمد بن ادريس بالوهابية ومع انه لا يوجد دليل على الاتصال المباشر بين احمد بن ادريس او السيد السنوسي والوهابيين فقد يبدو من القريب ان رجلاً مثل السنوسي معرفة وشغفاً بالاصلاح ، يعيش وسط حركة اصلاح ثائرة مدهشة لا يحاول درس اهدافها ومبادئها .

بات من المقرر ان السيد السنوسي لم يقتبس طريقته من الوهابية ولا من اي مصدر آخر ، فهو ما كان ليأخذ شيئاً دون ان يغربله بغرباله الخاص ويكسبه لوناً جديداً مستمداً من شخصيته واهدافه . فلاريب بعدئذ في وجود وحدة مشتركة بين مبادىء الحركتين . واما الاختلافات فناشئة عن اختلاف بيئة وظروف كل منهما . فان كثيراً من المبادىء التي اخذ بها السنوسي كالعودة بالاسلام الى اصله الفطري تحاكي الفكرة الوهابية ، على انهما كلتيهما غير بعيدتين عن فكرة التجديد والاصلاح المتمخضة يومـذاك ، فلا الوهابية ولا السنوسية اول او آخر من فكر بها وعمل لها ، ولكن السنوسي بتطبيقها في شمال افريقية وصل الى نتائج مختلفة ؛ عن النتائج التي وصل اليها الوهابيون في هضاب نجد .

واولى نواحي الشبه بينهما ، العودة بالاسلام الى بساطته كما جاء في القرآن وورد في السنة . ثم ان السنوسية والوهابية كلتيهما تحقدان على البدع التي لبست لباس الدين وتحاربانها ، وتدعوان الى التقشف والخشونة وتجنب الترف والبذخ ، وطريقة الحكم فيهما تطبيق النظام الذي كان سائداً في عهد النبي والخلفاء الراشدين ولكن بشيء من الدكتاتورية وشيء من الشورى ، وتنفيذ دقيق للشرع . وهكذا فعل ويفعل الوهابيون — وهكذا فعل الشيخ السنوسي الاكبر وخلفاؤه في المناطق التي كانوا يحكمونها ، سواء في عهد الدولة العثمانية ام الدولة الايطالية ، فلا الاولى ولا الثانية امتد سلطانها الا الى اليسير وراء السواحل ، فظلت الصحراء تحت حكم السنوسيين خلال مئة سنة وهم يطبقون احكام الشرع ويصونون الامن ، واتفقت الحركتان في تحضير البدو ومنع الغزو .

على ان هنالك بعض الاختلافات بينهما ، منها ان السنوسية مع اتفاقها والوهابية في توحيد العمل الديني ومحاربة البدع ، فقد اتخذ السنوسيون التصوف وسيلة الى بلوغ ذلك الهدف ، بينما الوهابية تستنكر جميع الطرق الصوفية . والوهابيون ينتسبون الى المذهب الحنبلي في تقيد وتقليد ، اما السنوسيون فمع انهم من اصحاب المذهب المالكي على العموم فلا يتقيدون به ، ويقولون ان التمسك باحد المذاهب دون سواه يقسم المسلمين شيعاً بينما هم يبتغون التوحيد ، ويقولون ان كل مسلم ذي علم واهلية له ان يجتهد ولا يكتفي بالتقليد ، وان باب الاجتهاد كان ولا يزال مفتوحاً .

وقد رأينا السنوسيين متمسكين بالاسلام وفق ما هو في القرآن والاحاديث تمسكاً شديداً ، متدينين يؤدون الفرائض حتى لا تكاد ترى احداً منهم يخل بفريضة من صوم وصلاة ، والجوامع ابداً زاخرة بالمصلين فاذا جاء وقت الصلاة هرع الجميع اليها ، والزكاة عندهم شيء مقدس يؤدونها على مقتضى الشرع وهم راضون مغتبطون ، اما الحج فقد لا اكون مبالغاً اذا قلت ان جميع من رأيتهم من الكبار هم حجاج ، على ان بعضهم ادى هذه الفريضة اكثر من مرة .

هذا فيما يخص اركان الدين ، اما العمل الصالح فقد ادهشني ما رأيت من الصدق في تلك البلاد ، وما تحلى به الليبيون من الامانة والقناعة ، فالتاجر هناك صادق شريف يمقت الغش والجشع متمثلاً بالحديث « من غشنا ليس منا » . ولا ريب بعد ذلك كله في ان الوهابيين والسنوسيين برغم اختلاف الوسائل قد احرزوا فوزاً عجيباً في بلوغ الغايات العليا التي استهدفها الشيخ محمد بن عبد الوهاب والشيخ محمد علي السنوسي ، فايقظوا في نفوس الاتباع اوار اللهيب الديني الاقدس ، ونقوا نفوسهم من البدع ومن كل ما يتصل بترف الدنيا وزخرفها .

خليل الخوري

يأس

☆

غداً يطفىء اليأس كل جنون بقلبي ويمسحُ حتى الأثرْ
ويخمد هذا الصراعُ ويهدُ حلمٌ فتيٌّ جميل الصور
وأشرد في عالم لستُ منه ولا لي على ارضه مستقر
ارافقُ كرَّ الزمان بشيء من الهزء يعروه بعض الضجر

فراق

☆

ارى كلّ شيء من حوالي موحشاً فلا انت حلم في جواري ولا وعدُ
ولا يطمئن القلبُ بعد لهاجس ولا يتادى بي ويسكرني عهد
امرُّ بأعراس الرياحين واجماً مرورَ غريب هدّه الشوقُ والسهد
تُرى حيننا ذنبٌ فنخشى بواحه ونُسبى لواش كلما حرّنا الوجد
ونجعل من وهم الزمان حواجزاً ففي وصلنا صدٌّ وفي قربنا بعد
قضى الله ان لا نلتقي ورمى بنا الى قدر ما من قساوته بدُّ

حلمي معلوف

هـ . ج . ويلز

آثاره ونظامه العالمي

☆

بقلم
قدري حافظ طوقان
عضو الجمعية الملكية الاسيوية في لندن وجمعيات
العلوم الرياضية في انكلترا وامريكا
ومجلس التعليم العالي
في فلسطين

☆

حديث اذيع من اذاعة القدس

أن هـ . ج . ويلز من ابرز مفكري القرن العشرين واخصبهم قريحة واكثرهم انتاجاً ، خدم الناس على اختلافهم وكتب لقادة الفكر والسياسة والاجتماع ولغيرهم من المثقفين والمتعلمين في ما يهمهم ويشوقهم . عمل للادب فكان المبدع المثمر ، بصيرته نافذة ونظره بعيد صادق . رسم خطوطاً للعالم الجديد وللنظام الذي يجب على المسؤولين اتباعه ، ليضمنوا عالماً ينعم بالسلام والامان . ترك من الكتب والرسائل ما هو في محل التقدير والاعجاب ، ولهذه آثارها في ميادين الفكر واتجاهاته . وضع عشرين رواية في مواضيع اجتماعية وسياسية وعلمية باسلوب قصصي جذاب وقالب ساحر لاذع ، على انها تعد من اروع الكتابات الادبية في هذا العصر ، وفي بعضها تنبأ بالحرب العالمية الاولى ووصفها كما لو وقعت فعلاً . ومن مطالعتها يتبين ان ويلز يقدر العلم وآثاره البعيدة وكيف يمكن الاستفادة منه وتوجيهه نحو البناء والخير والجمال . ويرى كثيرون من رجال الادب والعلم ان ويلز استطاع ان يجمع بين مقتضيات العلم والفن في كتاباته على تعددها وتنوعها . ولعل من اهم آثاره كتابه الشهير خلاصة تاريخ العالم The Outline History الذي نهج فيه طريقاً جديداً لم ينهجه احد قبله ، فهو لم يقصره على الحروب والفتوحات او على تطور القوميات لكنه عالج فيه تاريخ العالم الفلكي والجيولوجي والحيواني والبشري . وقد دعا في هذا الكتاب الى درس التاريخ على نفس الطريقة التي تدرس بها علوم الكيمياء والفيزياء والاحياء . وعلى رأيه ان العناية بدراسة التاريخ يجب ان توجه الى تاريخ المعادن والصناعات واللغات والعلوم والحركات الاجتماعية الكبرى ، ومن هذه الدراسات يتجلى للانسان التطور الذي وصل اليه (الانسان) والذي سيصيبه في المستقبل .

وله كتب تمتاز بالنقد الصريح فقد نقد نظام الحكم ومشكلة العيش كما نقد المذاهب الجديدة كالفاشية والديموقراطية والاشتراكية ، وقد نقدها على اساس الاخلاص للحقيقة والحق وعلى اساس الواقعية فهو لا يؤمن بالطفرة ، وقد سار مع العقل في تحليلاته وحاذر مجانبته فلا عجب اذا اتصفت آثاره بالواقعية وحلوله بالطابع العلمي . وهو يأمل من هذا كله ان ينتهي الى الكمال ، وليس الكمال الخيالي بل الكمال الممكن الذي هو نتيجة التطور والتفاعلات الطبيعية . ومن كتبه ما يحوي خلاصة وافية لعلوم الاجتماع تبحث في عمل الانسان وثروته وسعادته ، كما ان منها ما يشتمل على تفصيل لتطور الاحياء وهذا نجده في كتاب The Science of Life

الذي وضعه بالاشتراك مع هكسلي . ومن الطريف ان ويلز تنبأ في احد كتبه عن القنبلة الذرية قبل اختراعها وكان ذلك عام ١٩١٤ ، وتنبأ بالدمار الذي سيصيب العباد والبلاد من حرب ثانية وتحققت تنبؤاته ورأى بعينيه الدمار الذي اصاب العالم من الحروب العالمية الثانية والخراب الذي تركته في سائر الانحاء ، مما سوف يهدد الحضارة حتماً بالانهيار فالزوال .

ولم يقف ويلز عند هذه التنبؤات بل اتى الى الحروب فاخضعها للدرس والبحث ، وسلط عليها فكره الثاقب البصير فخرج بالجديد العملي من الحلول . درس حقيقة العوامل التي تدفع الى الحروب وقال ان الساسة الذين يعالجون المشاكل لم يقفوا عليها ، ولهذا وقعت الحروب ، ولا سيما الحرب الاخيرة . ويرى ان المشكلة عميقة وبعيدة الغور ، وان على الساسة ان يسيروا في تقرير المصير بعقلية جديدة تتطلب بعض التعديل في النظم ، وفي رأيه ان عدم تمشيهم على عقلية جديدة ادى الى وجود قوى زجت العالم في حرب طاحنة ويعرض ويلز لحالة العالم قبل الحرب العالمية الاولى فيقول : ان الناس كانوا في طمأنينة وانه كان هناك ثقة سائدة بين الشعوب والامم كما كان تسامح يسيطر على علاقات هذه الامم بعضها مع بعض . وهذه الثقة وذاك التسامح كثيراً ما كانا من العوامل التي حسمت المشاكل وقربت بين وجهات النظر . كانت التجارة حرة ، وكان النقل سهلاً لا تحيط به صعوبات ، وكان النقد ثابتاً على اساس الذهب بعيداً عن التقلبات . وعلى الرغم من التسابق الذي حدث في صناعة الاسلحة ، فان الناس كانوا ينظرون الى ذلك باستخفاف ، ويعتقدون بان التسامح والروح السلمية سيتغلبان ويسودان ويحولان دون اندلاع نيران الحرب . وهو يرى ان قيام الحرب الاولى كان تطوراً مفاجئاً بعيد الاحتمال وان هذا التطور دفع الامم الى مقاومة مثيري الحرب الذين كدروا صفو العالم وزادوا في ويلاته ومصائبه .

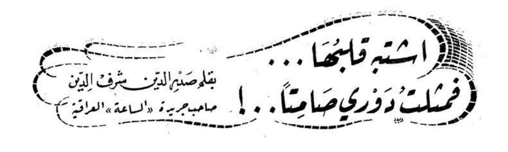
وعندما وضعت الحرب اوزارها وجاء دور معاهدة (فرسايل) وقع اولو الشأن الذين ترك اليهم معالجة المشاكل في جملة اخطاء فلم يدركوا (يقول ويلز) ان العالم يواجه قوى مخربة تعمل على تمزيق النظام العالمي ، ولم يشعروا بها ولا بالاخطار التي ستنجم عنها فساروا في مشاكلهم على طريقة لم تضع حداً لهذه القوى التي نمت واشتدت في العشرين من الاعوام الاخيرة التي اعقبت الهدنة ، غواً وصل الى درجة باتت خطراً على كيان بعض الدول الكبرى وانظمتها ومهدت السبيل الى هذه الحرب العالمية الثانية . ان هذه الحرب والحروب الماضية ما نشأ وينشأ عنها من فوضى وارتباك في الاوضاع والاخلاق ، — كل هذا دفع ويلز الى ان يفكر في توجيه جديد فقال : « لهذا فمن الضروري البحث عن توجيه جديد للعالم يشمل نظمه السياسية والاقتصادية والاخلاقية ، لانه كما يعتقد اصبح من المسلم به اخفاق هذه النظم بدليل ما سببته للعالم من الفساد والارتباك ، ويرى ان يكون هذا التوجيه بتحقيق وحدة عالمية تتفق مع الظروف القائمة ويقول : « . . . اننا اذا قصرناها على الناحية السياسية عدنا من حيث بدأنا . اننا بحاجة الى وحدة تامة من حيث السياسة والاقتصاد والشؤون الاجتماعية . . » ويدلل على قوله بضرورة هذه الوحدة او النظام الجمعي بان الامم في هذه الظروف لا تأمن على نفسها فهي عرضة للاعتداء ، وليس في امكانها ان تعيش في عزلة عن الامم الاخرى . ويرى ان النظام المجزأ لا يتفق مع طبيعة هذه الحياة فلا يمكن لشعب ان يعيش لحسابه الخاص ، بل لا بد وان يصطدم بمطالب غيره من الشعوب او الامم وحينئذ تضطر هذه الامم او الشعوب الى التسلح كي تحتفظ بكيانها . وهذا يؤدي حتماً الى حروب طاحنة تكلف من النفقات الضخمة ما لو بذل في طرق الخير والنفع لكان الناس في رخاء وسلام .

ويتعرض ويلز الى النظام الجديد الذي يجب ان يقوم ، اولاً : على حقوق الانسان حتى تؤمن الحريات الخاصة وتنمو المدارك وتتفتح المواهب وتبرز المزايا النفسية . وهو يوضح هذه الحقوق في كتبه بالتفصيل . ويرى ان تكون هذه اساساً لكل نظام يسنه الشعب لنفسه كما يرى ان تكون الصلات الدولية قائمة عليها وعلى الاعتراف بها ، وعلى هذا الاساس (يقول ويلز) يجب ان يشاد النظام العالمي المنشود .

والآن نقف عند هذا الحد فالمجال لا يتسع لشرح آرائه والنظام الجديد الذي يقترحه ، ولكن من مطالعة كتبه في الاجتماع والسياسة وكتاب عالم الغد الذي صدر ابان الحرب الاخيرة ، يتجلى لنا ان (ويلز) لم يكن خيالياً بل كان واقعياً وقد اتى بافكار ومقترحات صالحة للبحث والتطبيق . وهو مثال للفكر السياسي الناضج ، مما يبعث على التفكير واثارة الاذهان وتوسيع آفاقها ، ويحفز الى رفع المستوى في الحكم والحياة .

وخلاصة القول ان (ويلز) كان من جهابذة القرن العشرين ومن اوفر الكتاب انتاجاً وابعدهم شهرة ، وقد اضاف الى الثروة الادبية العالمية محصولاً من الانتاج الممتاز في السياسة والتاريخ والقصص والاجتماع ، يجعله في مصاف الخالدين في تاريخ تقدم الفكر الحديث

نابلس — قدري حافظ طوقان



مشبت

على اهدابها رشيقاً كالمح ،وسرعان ما شعرت اني اميد على اجفانها الحفرة في ارجوحة هنيئة تنزل بطيئة في استحياء، وتصعد بطيئة في استحياء كذلك .

ولكني عدت الى خيالي البعيد فلم اجدها في نفسي ووجدتها بعد البحث وليدة هذه اللحظة، فكيف اخذتني عينها اخذاً رفيقاً حالماً مشتاقاً يدل على اني في نفسها من قديم ؟ ٠ هذا غريب . . !

خطر لبـالي ان يكون هذا من الفروض النوادر التي حدثنا عنها قديماً شيخنا « بشار » هذه الفروض التي (تعشق فيها الآذان قبل العيون) . . ولكن خطر لبـالي ايضاً اننا نعيش في عصر مادي لا تغري فيه المعنويات بصبوة او هوى ولو كان ذلك من قبيل الاعجاب في بداية الامر ، اما الجمال فقد اكون يائساً منه . . ومن تأثيري به في اللحظة الاولى والنظرة الحمقاء - كما يقولون - ولكني حاولت ان اقنع نفسي بان . . . بانها من الهاويات للادمغة الصلعاء . . . ! المعجبات بالمفكرين الذين «تتغزل» عيونهم بلغة تبعث الحب بعد ان تثير الاعجاب .

وليس غريباً ان تكون هذه قد قرأتني ، او حدثها عني الذين قرأوني ، وبهذا يتم الفرض ،وتصبح رعشة اجفانها ذات معنى واضح مفهوم فيه لي لذة ومتعة ، وفيه لها عذر وجيه .

بهذا كنت افكر وانا اقابل جفنها وثغرها الضاحكين على خفر واستحياء رزيناً (كالحائط) . . ؟

ولكن خاطرة نشزت بين هذه الخواطر (مفتوحة الشدق) بالحقيقة التي اطارت نشوة افراحي باكتشافي الجديد . . اكتشاف ان لي جمالاً مؤثراً ساحراً يمر بي على مثل هذه الاهداب الحالمة ويطير بي في هذه السماء . من عينيها الحفرتين المتحدرتين المشتاقتين . !

لم اكن ارقص على اهدابها غير رقصة الممثل البارع ، وكنت اهبط واصعد في عينيها وهي تحلم . . . تحلم لا بي بل بالذي يشبهني ،او بالذي اشبهه .

افأقنع من الحظ بايسره ؟ لعل الاوفق ذلك ، وامامي قولتان تؤكدان لي هذه النظرية احداهمـا من ادب الابراج وهي التي تقول : اذا لم يكن ما تريد فارد ما يكون ، والثـانية من ادب الحياة الكادحة وهي التي تقول : (اذا فـاتك اللحم فعليك بالمرق) .

توكلت على الله ورضيت ان اكون ممثلاً ، بل رضيت ان اكون شبيهاً بالذي تحلم به هاتان العينان ، والشبه وحده فوز تنعكس فيه ارتسامات مما حدثت نفسي به قبل ان تفتح الخاطرة شدقيها بالحقيقة .

لقد رضت نفسي على ان اقوم بدور الممثل ولكن نفسي ابت الا ان تتمسك باذيال الاباء الذي يسمونه اليوم (وهماً) والوهم الذي كان يسمى في يوم من الايام (اباء) ، وابت نفسي الا ان تتمسك بالفضيلة في (بوزها) العتيق موديل (١٩١٠) وعلى هذا الاساس لم اذب تحت اشعتها ، بل ارسلت اليها من اطراف عيني رسلاً غلاظاً ورسوت في رزانتي (كالحائط) . . !

كان الذي يشبهني حدثني عنها طويلاً ، وقرأ لي فيها اكثر من لحن من الحان قلبه الذي انشأها فوق غوارب الموج الازرق ، ومن هنا انفتحت الكوة بالحقيقة (كالخاطرة) المنشدقة .

ولم اكن قد رأيتها من قبل ، ولكن الصورة التي كانت تتلألأ في احاديثه يومئذ هي هذه تقف الآن امامي وجهاً لوجه ، وتبسم لي ثغراً لثغر ، وتكلمني عيناً لعين . وكانت فاتحة اليقظة ان الخطأ الذي وقعت هي فيه وقع فيه قبلها كثيرون . . كثيرون من الدائنين . . !

ولعل الشبه الذي عرضني اكثر من مرة لمواقف الغرم اراد ان يعتذر الآن باقحامي في موقف من مواقف الغنم ولكنه غنم تصلبت في قبوله نفسي تصلباً صفيقاً فيه من

قصة

الكبرياء (العجرة) شيء كثير، وعلى الرغم من ذلك فقد اصرت وراحت تعبق الى نفسي برقيات اوهمتني انني انسان من الصخور .

لقد جرحت انوثتها فهي تدعوني الآن لا لانها تحلم بي ، بل لانها تريد ان تخضعني ، وانقلب الموقف في نظرها من افق الحب الى ميدان حرب ، وليست هذه البسمات اللامعة ، وهذه النظرات المتلألئة غير وسائل المرأة المحاربة المدافعة عن كرامة انوثتها .

ولولا ذلك لخشيت اللين وخفت ان تختطفني كما يختطف جبل من المغناطيس ابرة يضعها القدر في متناول هذا الجبل الجبار .

*

هكذا حدثني عنها وكذلك هي الآن انثى ناضجة لا تقع منها العين على غير سحر، واسحر ما فيها هذا الخفر الصارخ،وهذا الشوق الملجم،وهذا الهجوم المحبوس، وهذا السكون الثائر وهذه المتناقضات التي تتمتع بها الانثيات العبقريات ، ويختلبن بهـا الالباب، وهي ذي تحشد لي كل ذلك في بلاء منكر احمر استعذت فيه بالله من الشيطان .. ؟

وقد كان الذي حدثني عنها (خلع) قلبي بما حدثني عنهـا ووصف لي فيها قوة الحرير ، (وغاز) الزهر ، واشعة (الذرة) ، والتواء (الصواريخ) ، وحدثني عن قربها البعيد ، وبعدها القريب، وفتونها الاخاذ المتموج الملتف المحيط ينفذ اليك من حيث التفت، ويلاقيك اينما هربت .

هكذا كان يقول الذي يشبهني ، وهكذا بدأت اشبهه .. اشبهه بهذا الشعور هذه المرة .

واستطاعت ان ترتقي درجة بتوجهي اليها ، فقد كنت قبل ثانية قروي الجواب بليد الحس،وانا الآن اتقدم الى مدنية،مبتذلة فيها (بلة) من حضارة ، وومضة من ذكاء ... !

وكانت تود لو يطول الموقف لتشرب نخب انتصارها،ولكن المجال كان ضيقاً جداً ، والوقت قصيراً جداً ايضاً واقبلت تتكسر في مشيتها وما تزال عيناها تتكلمان وفمها يختلج بالابتسام ، فاذا حاذتني — وانا في طريقها على الباب — ندت من فمهـا التحية بلا اختيار (اورفوار) وخرجت تتكفأ الى الوراء كأنها تقاد وهي كارهة ..

لا اكذبك اني فكرت بها بعد خروجها ، ولا اكذبك انه لم يكن تفكيراً جاداً، ولكني احببت صادقاً ان اراها مرة اخرى ، ولو لاقول لها شيئاً عن الذي لبسته وانا انزل الى قلبها واطوف به على عينيها ، ولو ، لاخبرها ان (حبها) بليد تخشى عليه السرقة بالازياء التنكرية ، كنت احب ان اسألها عن رأيها في تأثير هذا الاشتباه في نفس الذي خالتنيه ، ايرضيه ام يسخطه ؟ ايرضيه لانها ماتزال تدخر له هذا الكنز ؟ ام يسخطه لان قلبها يقبل الغلط ؟ .

والحقيقة اني عجبت من هذه الظاهرة ، وانا افهم ان تشتبه العين ، ولكن اشتباه القلب امر ما كنت اؤمن به قبل اليوم ، فلأكن اشبهه ولأكن اخاه في شدة الشبه فان الشبه مهما اشتد لا يخرج عن كونه مادة تختلط في ميزان الحواس المادية اما الذي اشتبهت به فامر معنوي ميزانه القلب .

ولن يخطئ القلب الا اذا شكا نقصاً اذ يكون الحب فاتراً رخواً عابراً ، او شكا زيادة اذ يكون الحب طاغياً فائراً راسخاً ، وهذا ما احببت ان استوضحه منها .

*

كان ذلك في الصباح، ولقيتها في المساء،كما كنت اتمنى ولكني لم اسألها لاني بدأت احس شيئاً جديداً ما احسسته في الصباح ، وكان الذي احسسته شيئاً غير تلك الصلابة (العجرة) التي كنت مصمماً على المضي فيها ، اما عواطفي فقد قالت : انـه لين مني ، وجنوح الى مجاراة (المرأة) ، والتمست الف عذر وعذر لتصحيح ذلك في نظرها واقناعي بصحة هذا النظر ، واما عقلي فما ادري اكان متأثراً بالعواطف ام كان متجرداً حين قال : انها تجربة للكشف عن ناحية من نواحي المرأة ، وامتحان لقيادها في حـالي الجموح والاسلاس ، والاباء والخضوع ، وامـا انا فقد كنت حائراً بين الامرين ، هل لنت لها وانقدت اليها ، ام ما تزال صلابتي كما هي ولكني الين لامتحن المرأة !

ما ادري ، ولكني اعلم انها تقبل الآن في حاجة لها ، واني انهض في غير حاجة فاترك الرفاق بلا كلام ولا اعتذر لاريها نفسي فاذا هي تلتفت دون عناية وترسلها ابتسامة فاترة وتمضي ..

ثم تدور لتأتي هذه المرة على عمد وتشمخ في الطريق،تظاهرة بعدم الاكتراث وبالانصراف الى حديث مع رفيقتها، ويقيني انها وقفت لتشهدني منهزماً وفي نفسها انني سانطحها هذه المرة ، غير اني لم اصنع اكثر من ان افيها دينها عندي في الصباح منقوصاً، اذ حييتها بفتور ، واندفعت كأني اقاد الى هوى امامي ، واني لاراها تعض على شفتيها، وآخر ما اذكره ان شفتيها كانتا تتحركان .. بمدح؟ بذم؟ لست ادري ، ولكنهما كانتا تقولان : حواء ، حواء .

بغداد — صدر الدين شرف الدين

التعب النفسي

بقلم ابو مدين الشافعي
ماجستير في علم النفس من جامعة فؤاد الاول
وسكرتير تحرير مجلة علم النفس

☆

التعب والاهتمام

يقول بييرون بنوع من التعب يجمع بين كل مظاهر التعب الناشئة عن اضطراب المجهود في الجسم ، ونسي ان كل حالات التعب ترجع الى اضطراب مشاكل ، وليس الاعتياد والتعلم اللذان يقضيان على مظاهر التعب غير تنظيم المجهود في الجسم ، لهذا السبب تسنى للانفعالات ان تلعب دوراً هاماً في اظهار التعب السريع . فانه وفق تصنيف بييرون نفسه لمظاهر التعب ، يبدو تقارب كبير بين مظاهر التعب ومظاهر الانفعال ، اذ كل منهما يعتبر اضطراباً للنشاط في الجسم . ولهذا يعتبر التعب مخفضاً «مهبطاً» للنشاط الانساني عامة ، لانه يتلف اهم عامل يقوم عليه المجهود الا وهو الاتجاه .

وقد لوحظ تأثير بعض الافكار على الشعور بالتعب وبالتالي على ايقاف مظاهر التعب الجسمية ، واشار كربلن Krœplin الى العامل الدافع Antrieb الذي يستطيع تأخير التعب . من مثل ما نلاحظه جميعاً من آثار التشجيع وبعث الاهتمام والايحاء . فالشخص الذي يقوم بعمل لا يربطه به اي اهتمام يشعر سريعاً بالتعب بعد دورة قصيرة من العمل ، ويستغرب الاشخاص الذين انصرفوا بميل خاص الى عمل ما ، كيف يندفعون الى الاستمرار دون ان يلابسهم معه اي شعور بالتعب .

وهناك ايضاً عامل الشعور بالانتهاء — فان الاعمال الطويلة تدعو الى السأم وهو مخفض «مهبط» للنشاط وباعث على الشعور بالتعب . يجد الشخص لذة عندما يشعر بدنو العمل من نهايته ليأخذ قسطه من الراحة او لينال اجراً استحقه . ولذلك نرى الاعمال المجزأة تنتهي بسرعة ومن غير شعور بالتعب .

والسر في هذا ان الانسان عندما يعمل ، يجند ابتداء كمية محدودة من النشاط وهو لا يستطيع تجنيد اكبر كمية من النشاط لمدة طويلة لانه يحتاج دوماً الى التجديد .

ويلعب تجزيء الاعمال وتحديدها دوراً هاماً في نجاح الشخص ، فالذي يقدر على التجزيء والربط بين مراحل العمل المؤدية الى هدف بعيد ، يستطيع تحقيق اكبر المشروعات في حياته .

ونستخرج من هذا كله ان السر في القضاء على التعب يرجع الى عوامل نفسية . فالتعب الحقيقي هو التعب النفسي ، وليس العمل الا معرفة توزيع النشاط في الجسم والاقتصاد ببذله :

التعب واتجاه النشاط

وما علينا الا ان نفرض على شخص اعمالاً تتطلب اتجاهات مختلفة ، لنلاحظ اضطراباً سريعاً في النشاط وهبوطاً في المجهود — فاصعب الاعمال هي التي يجد الشخص صعوبة في تحديد اتجاهه اثناء القيام بها — وهنا تظهر صلة النشاط النفسى بالنشاط الجسمي . فالشخص العامل بذهنه لا يستطيع القيام بعمل عضلي . وذلك لان العمل الجسمي هو الآخر يحتاج الى نشاط نفسي موجه .

وقد لاحظ بييرون ان ارهاق الاطفال بعمل مدرسي يضاف الى اعمالهم الجسمية المرهقة مثل الجري وكثرة الحركة، يؤدي بهم الى الوقوع في حالة التعب العام واغتنم بييرون هذه الفرصة ليوحد بين هذين النوعين النشاط الذين ميز بينهما من قبل.

وفي كل عمل توجد مراحل مختلفة، على الشخص ان يعرف كيف يربط بينها. وعملية الربط هذه عملية نفسية. ففضلاً عن الاستعداد الاول الذي يكون بمثابة اخذ الكمية الكافية من النشاط، على الشخص ان يعرف كيف يحتفظ بهذه الكمية كي يصل الى النهاية، وقد لاحظ بييرون وجود طريقين من التوزيع المجهود — طريق يقتضي النزول السريع بمنحنى محدودب ممثل بخط (ا) وطريق آخر يقتضي النزول البطيء يمثل بمنحنى مقعر ويظهر في شكل خط ب (1) وقد بينت تجارب موسو Mosso ويوتيكو Ioteyko المؤيدة ببعض تجارب معمل علم النفس بجامعة فؤاد الاول، ان الشعور بالتعب هو حماية الشخص من الوصول الى الافلاس من المجهود. فلاحظ اننا عندما نطلب من شخص القيام بعمل، فانه يقوم به ولا يلبث ان يظهر الشعور بالتعب الذي يؤدي الى التوقف، ولكننا ان قدمنا الى الشخص عملاً اسهل من الاول، فاننا نرى الشخص قادراً على بذل مجهود جديد كان مدخراً. وهكذا يمكننا ان ننقص من صعوبة العمل، وبالتالي وفي كل مرة يقوم الشخص بعمل جديد بعد ما كان قد توقف.

فالتعب هو شعور يدعو الشخص الى التوقف حتى لا يتعرض لخطر الضعف والانهاك، ويحتاج الشخص الى قوة نفسية جسمية مثل قوة الارادة ليستطيع الاستمرار في العمل، والشعور بالتعب يدفعه الى التوقف عن العمل ليعطي للجسم فرصة ارجاع ما فقد.

والطريق (ب) في التعب احسن من الطريق (ا) لان الطريق الاول الذي يسمح للمجهود ان يفقد اقل مما يكسب يجعل الشخص يقوم بعمل مستمر، وان كان التجزي من صالحة الجسم كله فان الاحتفاظ بالنفس الطويل في العمل يكسب الشخص قوة كبرى في الانتاج والتغلب على المشاكل الخارجية.

ولا ننس ان اساس كل عمل هو هذا الاستمرار في بذل مجهود موجه وجهة خاصة معينة، وهكذا اعتبر بييرون الاستمرار في حمل ثقل بذراع ممتد من غير حركة عملاً جامداً ستاتيكياً. ويرى ان هذا العمل يعرض الشخص الى التعب بسرعة، وذلك لان الوضع الواحد يتطلب اتجاهاً نفسياً واحداً، ويسبب حالة من حالات السأم، وهذه الظاهرة تدل ايضاً على اهمية العامل النفسي في التعب.

وقد شاع بين الناس استعمال كلمة الارادة بمعنى المقدرة على مواصلة العمل والصبر، حتى يصل الشخص الى الغرض. وهذا التعبير العامي يشير الى اهمية العامل النفسي، الذي يحقق الغرض ويمنع التوقف ويضمن الوصول الى الهدف من غير تعب.

وقد لخص G. Poyers (1) اقوال الباحثين في صلة التعب الجسمي بالتعب الذهني. وبين بوضوح دهرس Dhers ان التعب لا يمكن ان يدرس في المعمل، لان جهاز الارجوجراف لا يقيس اهم ناحية في التعب وهي التوجيه والضبط، وان التعب الحقيقي انما يدرس في السلوك الطبيعي في المصنع وبه يمكننا ان نترقب ونراقب ظهور عوامل السأم والاضطرابات النفسية الناشئة عنها.

ويقول ميرس انه يجب التمييز بين نوعين من النشاط رئيسيين احدهما يؤدي رأساً الى الافعال وهو الذي يسميه Spasmodique وثانيهما لا يزال غامضاً ونجهل عنه كل شيء. وهو النشاط الموجه الذي يدخل الحركات في اشكال ايقاعية ويحدد للشخص اتجاهاً، وهو باختصار النشاط المنظم.

لا يتعرض هذا النوع من النشاط الى التعب بسهولة ولا تظهر علامات الضعف الملازمة للاعياء الا بعد مدة طويلة، ويلاحظ ذلك في عمليات الانتباه التي تؤدي بعد مدة الى السأم وضياع الاهتمام.

التعب الذهني والتعب العضلي

ونرى ان هذه النتيجة حتمية يوجبها هذا التمييز بين نوعين من النشاط. والتمييز بين التعب العضلي وبين التعب الذهني هو تمييز ظاهري لا ينطبق على الواقع، فقد تكون اسباب التعب بيولوجية او نفسية او اجتماعية، ومهما كان السبب فانها تسري الى كل الجسم وتكون النتيجة واحدة، وهي اضطراب في السلوك وميل الى السلبية وعدم ضبط الحركات الطائشة والشلل الارادي

(1) Piéron - Psychologie experimentale P.182-82

(1) G. Dumas. T. 4. Chap III- p. 424 - 429.

والنقص في التكيف الاجتماعي .

يرجع الشعور بالتعب ككل انواع الشعور الاخر الى احساس عضلي ، ويكون الشعور بالتعب كالشعور بالخوف ممزوجاً بالظواهر الفسيولوجية ، ولكنه لا يلبث ان يستقل ويصير شعوراً مستقلا يمكنه ان يظهر قبل اكتمال شروطه الفسيولوجية . ويكون التعب ذاتياً بعد ما كان موضوعياً . فالشعور بالتعب انذار بوقوع التعب الجسمي المعروف بالانهاك وتؤثر الحالات النفسية في الشعور الذاتي ما دام الجسم في مأمن من كل خطر ، ولكن كل العوامل النفسية مثل التشجيع والايحاء ، وغير ذلك لا تنفع اذا كان التعب وصل الى نهايته القصوى — والتعب شبيه بحالة النوم الذي يعتبر فعلا ارادياً الى حد معين ، فيستطيع الشخص ان يتحكم في نومه ما دام النوم متوفراً لدى الشخص ، ويتغير الموقف بعدما يحرم الشخص من النوم مدة طويلة من الزمان ويكون في حاجة ماسة اليه اذ يصبح النوم لا ارادياً . ويستسلم الشخص حتماً مدة معينة في النوم . في حالة توفر كمية من النوم لدى الشخص يمنع التعب النوم في حالة ما اذا كان التعب شديداً . ولكن التعب الشديد الذي يساعد على الهبوط النفسي يسهل عملية النوم . وقد يصل الحال ببعض الاشخاص الذين اصيبوا في نشاطهم النفسي العام وظهر لديهم شلل في الارادة الى فقد الشعور بالتعب . ويظهر ذلك على الخصوص في الامراض التي تعرض الجسم الى الانحلال او الهبوط ، مثل مرض نحول او هزال وفي مرض التهيج الجنوني وبعض حالات التخريف المبكر .

وهناك اشخاص آخرون يشعرون بتعب مستمر ولا يستطيعون التخلص من هذا الشعور ، ويرجع هذا التسلط الى ضعف جسمي عام او الى اضطراب في بعض الاعضاء مثل الكعزين او الرئتين .

التعب والانتباه

ولو اردنا تتبع حالة التعب لدى شخص نراقب حالة انتباهه : اذ يمثل الانتباه كمية النشاط الانساني المتكامل في الشخص . والانتباه اعلى وظيفة ترمي اليها كل العمليات الفسيولوجية والسيكلوجية في الانسان . ويستطيع الشخص ان يراقب كمية الانتباه المبذولة في اليوم ليعلم انها ضئيلة ، وانه يحاول دائماً ان يقتصد منها ويفر في الوقت المناسب الذي يطلب منه فيه ان ينتبه .

ويوجد تباعد بين الشعور بالتعب وبين الانتباه ، ولذلك رأينا ان الانتباه لا يكون الا ارادياً ،[1] اذ ان الانتباه مقاومة ضد الشعور بالتعب الذي يدعو الشخص الى التخلي عن الاستمرار في العمل او عن توجيه النشاط النفسي في اتجاه معين مدة معينة من الزمن .

وقد رأينا ان التعب الشديد في امكانه ان يقضي على آخر فعل ارادي وهو النوم ، فالتعب البسيط يؤثر دائماً على الانتباه ، ويوجد اشخاص كثيرون يشكون من آثار التعب في تركيزهم وانتباههم ، وتصل بهم الحال الى انهم لا يستطيعون قراءة اي شيء . ويعجزون عن بذل ادنى مجهود .

وقال جلدشتين ان الانتباه الارادي في الانسان عامة لا يزال مستواه منخفضاً بالنسبة لما كان يجب ان يكون عليه ، وليس النشاط النفسي غير الصراع بين الجسم والبيئة الخارجية[1] ، وتختلف مقدرة الشخص على هذا الصراع حسب بنية الجسم وحسب البيئة التي يعيش فيها .

وعندما حاولت كوهتس ان تدرس العمل عند الحيوانات ، وجدت ان القرد عاجز عن القيام بعمل حقيقي لان كل عمل يقتضي معرفة غاية معينة يرمي اليها الشخص فلا بد من ان يكون هناك اتجاه سابق يوجه الحركة ، وهذا الاتجاه يكون قادراً على التغلب على الحركة فهو اتجاه ذهني وتنفيذ عضلي في نفس الوقت ، فالعمل قائم اذن على الانتباه الارادي[2] .

ويجد بعض الناس لذة في القيام بأعمال يختارونها بأنفسهم ويشعرون بالتعب عندما تصبح هذه الاعمال اجبارية ومفروضة عليهم فرضاً ، كما اننا نحاول دائماً ان نميل الى اعمال اضافية خارجة عن دائرة عملنا الرسمي .

وقد يصل الامر ببعض الاشخاص في شعورهم بالتعب الى الاغماء وفقدان الشعور ، وقد يحاول هؤلاء ان يتخلصوا من الآلام الناشئة عن الشعور بالتعب بشتى الوسائل ، ولكن السبب المجهول لهذه الحالة الشائعة هو في الغالب اضطراب في الانتباه ويكون النشاط النفسي موزعاً بين مشاكل مختلفة داخلية ، ويحدث ذلك التشتت الذهني شعوراً بالضعف وشللاً ارادياً ويتكون لدى الشخص شعور عام بالانهاك والتعب .

بيت المغرب : القاهرة

ابو مدين الشافعي

(١) « الانتباه الارادي » الناشر مكتبة الاداب القاهرة ص ١٧٤ — ١٨٥

(١) مجلة علم النفس ابو مدين الشافعي الاسس النفسية للعمل الانساني اكتوبر ١٩٤٥ مجلد ١ عدد ٢ .

(٢) نفس المرجع .

ورفعت الزهرة اشمها

بقلم الآنسة سميرة حموي

أو

تذكريني يا ليلى ، ونحن في روعة التمثال ، الواقف مع المغيب في مفارق الجبل ، كيف اخذنا نحفر اسمينا حفراً قاسياً على قدميه . . . على الرخام الابيض من قدميه ، . . . نسرق من خلوده حتى في مماته ؟ ؟

. . . ونوار يبسط الازاهير من هنا وهنـاك ، في حديقة الحجر المتيقظ الناطق .

. . . وأغرتني زهيرات من البنفسج ، تتموج في النسمة كأنها شفاه الاطياف . . . وأقتطف منها واحدة ، ونهبط السلم بتؤدة .

ونظرت اليّ يا ليلى ، وكنا لما نزل على الدرجة الاخيرة ، وقد رأيت ما استبحت لنفسي ، فقلت بقساوة ، ماذا فعلت يا غبية ، اعيديها الى القبر ، الى ارض التمثال . « من قطف زهر المقابر . . . . لا تزوج » .

. . حملقت في وجهك ، يا ليلى ، في شيء من الالم ، خوف المجهول المتربص ، وشعرت بيد خفية عنيفة تدفعني دفعاً الى اعادتها ، الى استغفار التراب الذي انبتها . . ولما يفت الوقت بعد . . . ولكن . . . ولكن . . ولكن ، ثارت كبريائي — يا لها من كبرياء — فغمرني الضحك وهمس من السخرية الصامتة وقلت :

فلأجرب ، فلأكن انا الضحية ، ورفعت الزهرة اشمها شماً ، واندفعت السيارة الى المدينة تطوي بنا كروم الزيتون ، كنت شاردة طوال الطريق . . .

☆

فتاة في مواسم الربيع ملء صدرها الحياة . . . لن تتزوج . . . لقد عقدت انفاسها بانفاس الموت ، بأواخر انفاسه ، بحشرجة التراب الحي ، على تنبؤ الاساطير ، ومرت سنون ، تتلوها سنون ، وانا ، يا ليلى لما أزل مطافاً لاصداء القبور ، تتجاوب في اعماقي اشبـاح الحيرة على شواطيء التأسي . .

. . . وتغرب ايامي ، قوافل ، قوافل ، في الدمع الصـامت والتأمل المتحير .

لم يبق في تربتي الا بقايا زهيرات يابسة . علقت على صخرة المقبرة — مقبرة الاحياء — لوحة حفرت عليها بوضوح اسمي . . .

☆

وفي الاساطير : من حفر اسمه على صخرة الموت ، قطف مع الفجر ازاهر المقابر في حدائق التماثيل ، !

ايها التمثال الواقف كالظلمة على مفرق الطريق ، متى ينبت الربيع في ارضك ، في مرمر جبينك ؟ . . ؟

نجوى

يوم اطلت من خدرها في حلب . . .

☆

يا حبة من فستق وربيع حسن شيق
ومنارة الامل الضلول ، وبسمة العاني الشقي
يا زهرة كسيت بثوب بالورود منمق
انت الحياة لبرعم اعرافه لم تطلق
روح أرق من الصبا ومن النسيم الاعبق
أهفو اليك مع الصباح ، البكر قبل المشرق
وأسير في النسم العبيق ، وفي الندى المترقرق
واراك حلم غد ومأمل سعده المتألق

*

يا زهرة ذبلت على نضر الشباب الريق
عودي الى الدنيا الى روض الحياة المورق
فلانت عرس للربيع ، وحلم جفن مطبق
ود الربيع لو انه — من بعدها — لم يخلق

*

انا يا زهور ارق من نسم الربيع المشفق
وأعف من قلب الملاك فان لي قلباً نقي
لي بالورود شذى الورود ونشوة المستنشق
اما الجمال فان لي فيه جلال المطرق
لي فيه صمت العابدين وخشعة الرجل التقي

*

حسبي الجمال اضمه بيد المعف المتقي
وابيع صدري للحياة لسيلها المتدفق
واقول للنسمات والامواج قودي زورقي
اعطي قيادي للجمال فيستبيح واستقي

*

انا حسبي النظر الحي الى الجمال المشرق

لجوزيف جحا

بين ثقافتين

بقلم رشاد المغربي دارغوث

☆

هل وقفت ذات يوم ، حيال الموت ، تصارعه في اعز الخلق عندك ، وحيداً لولا صحبة الايمان ، ضعيفاً لولا قوة الحب ؟

اذا مررت بهذا المأزق العسير ، ووقفت وجهاً لوجه امام هذا الغول الاكبر ، يفغر فاه ليسلبك الحياة ، في احب الناس الى نفسك ، فقد وقفت حيال المرض يفتك بولدك ، والعلم والطب والناس قد تخلوا عنك ، وتركوك في ميدان الجهاد ، لا معين الا الله ، ولا نور الا الامل .

وهذا طبيب يقول : « ابنك في حالة خطيرة ، فقد يكون مرضه كذا وقد يكون كيت . وعليك ان تفعل كذا وان تقوم بكيت ، وسترى بعد اسبوع او بعد اسبوعين او ثلاثة ما ينتهي اليه سير هذه الحمى الشبيهة بحمى التيفوئيد ، وان لم تكن منها ، على ارجح تقدير » .

وهذا طبيب آخر يقول لك : « لا تخف على ولدك فاما ان تكون حمى في المصارين واما ان تكون في الدم ، وهي على الحالين ستستمر حتى تبلغ حدها ، والاطفال بحيويتهم البالغة يتحملون ما لا يتحمله الكبار ، فعليك ان تطعمه من المآكل كذا وان تسقيه من المشارب كيت .

فينبرى الطبيب الاول ، من يسير في في المعالجة على طريقته ، الى حظر كل طعام اياً كان ، والى فرض خطة في العناية بالمريض الصغير العزيز تحالف على خط مستقيم خطة الطبيب الثاني ومن يسير في المعالجة على طريقته .

وتقف انت بين الطريقتين ، وقوف الساري في ظلام الليل عند مفترق بين طريقتين ، لا يدري ايهما يسلك وايهما يترك ، وايهما طريق النجاة وايهما طريق الهلاك .



أأطعم المريض فيقوى على تحمل الداء ودفعه والتخلص من عواقبه ، ام لا اطعمه فاجنبه عنف المرض وشدة سكراته .

وبتعبير آخر أأطعمه لاساعده بالغذاء على الشفاء ، ام لا اطعمه فاضعف الداء بمنع الغذاء عنه ؟

هذه العقدة لم يحلها رجال الطب فيما بينهم ، ولا فيما بينهم وبين المتطببين . فكيف تريد للطب — هذا الخليط العجيب من المعرفة والجهل — ان يبلغ غايته الانسانية ؟

ويقول لك هؤلاء : « نحن نعالج على « الطريقة الانجلوسكسونية » لانه لا يجوز ان يتعاون الداء والضعف والهزال على المريض المسكين ، بحرمانه الغذاء اي اسباب القوة والمقاومة والمناعة » .

« ويقول لك اولئك : « نحن نعالج على « الطريقة اللاتينية » ، لان الاجساد المريضة كلما غذيتها زدتها سوءاً وضعفاً فيتعاون عندئذ الداء الاصيل والضعف العارض على القضاء على البقية الباقية من

حيوية المريض ومناعته وقوة المقاومة عنده » .

فاية الطريقتين تتبع اذا كنت في بلد موزع في ثقافته بين هؤلاء وهؤلاء — واذا كان لك في هؤلاء اطباء اصدقاء تثق بهم ، وفي هؤلاء اصدقاء اطباء ترجو خيرهم ؟

الثقافة ، بين الثقافتين ، الثقافة اللبنانية . . . هذا موضوع شائك لا احب ان اخوض فيه ، ولا سيا اننا في مستهل السنة الدراسية ، وفي فجر حياة المناهج الجديدة ، التي اعلنت وزارة التربية الوطنية ولادتها منذ ايام قليلة . ولكن الشيء الراهن هو ان الثقافة هي « الطريقة » في الأصل ، الطريقة التي يتناول بها الفكر الاشياء ، و « الطريقة » التي يفهم بها مدلول تلك الاشياء ومفهومها ، و « الطريقة » التي يعالج بها القضايا الطارئة من تفاعل المدلولات والمفهومات وتمازجها وما يتفرع عنها من مشاهدات ومنظورات وملموسات .

هذا من جهة ومن جهة ثانية لا شك في ان ثمة « مدلولا » واحداً لكلمة « حجر » كما ان ثمة مفهوماً واحداً لفكرة « الحق » في جميع « الطرائق » ، اي جميع الثقافات البشرية .

فاذا كان الحال كذلك — وهو كذلك الا في بعض اللغات السياسية او التجارية — فانه يبدو من المنطق القويم ان يعمد اصحاب هذه « الطريقة » وتلك الى التفاهم نهائياً حول هذه الحقائق البدائية ، فلا يظل الناس في نعيم « اختلاف الأئمة » لا يجدون الرحمة المنشودة ولا يظفرون بالبرء والصحة والعافية الا بشق الانفس .

والواقع ان « تنوع » ، الثقافات — اي الطرائق التي تتناول الاشياء والحقائق — لذة ونعمة . ولكن « اختلافها » — اي تناقضها كما يتناقض السلب والايجاب ، والصدق والكذب ، والنور والظلام ، والحق والباطل ، ان هذا التناقض في حقل الثقافة — والطب الداخلي لون من الوان الثقافة وان لم يتسم حتى الآن بطابع العلم الا في بعض وجوهه وفي بعض قضاياه — امر لا يجوز ان يستمر في بلد كان ولم يبرح يأخذ بالافضل مما يرد اليه ، من الشرق ومن الغرب على حد سواء .

والا فاين الشخصية الخاصة التي يجب ان تنطبع بها طريقتنا — اي ثقافتنا — وهي جزء من كل ، هو الثقافة العامة ؟

ان الموضوع شائك وقابل الجدل . ولست في معرض يستحب الجدل فيه ، وخاصة هذا الجدل العقيم الذي ابتلينا بأعراضه ، فكان في الناس المثقفين عندنا ، وانصاف المثقفين ، ثرثرة لا جعجعة وحسب . الا ترى وفرة الصحف ، وقلة القراء ؟ وكثرة المجالس وندرة المقررات ؟ ووفرة الانظمة والقوانين وانعدام النظام .

اننا لا شك في الطريق الى كل خير ، في ظلال هذا الاستقلال الذي يؤلف في القضية العامة جو الحياة ، الجو الذي تتمكن فيه الفضائل الفردية والقومية من النمو ، والتفاعل والتكاثر بمختلف اساليب التكاثر المعروفة .

ولكن شيئاً واحداً يعوزنا لاستكمال اسباب تلك الحياة ، هو هذا الذي لا نجده بين « الطريقتين » ، ويحيرنا في « الثقافتين » — هو الاخلاص لانفسنا ، والايمان بها ، والاخلاص لوطننا والايمان بمصائره — وهو قبل كل شيء الايمان بهذا الانسان وبانسانيته لا بالذهب وحده ، ولا باهواء النفوس والسياسة ، العليا منها والدنيا على حد سواء .

وعندئذ نخرج من بين الطريقتين — ومن بين الثقافتين — كما يخرج الذهب من بين النار والبوتقة ذهباً ابريزاً لا عيب فيه .

رشاد المغربي دارغوث

بريطانيـــا في دنيـا الشعر *

بقلم عبد اللطيف شرارة

☆

مصادر الروح البريطانية

الشاعر انسان ، والانســان كوحدة تتركب من اجزاء ، وتجتمع فيها صفات ، وتعز لها خصائص ، لاتتكون فجأة ، وانما هو ركام عصور واجيال وخلاصة احداث وعصير تجارب ونتيجة ظروف ، فليس من المعقول مثلاً ان ينشأ في جزيرة «بريتان» شاعر كشكسبير في القرن السادس بعد المسيــح ، لان المواد الاولية التي تتألف منها شخصيته وتنضج بشاعريته ، لم تكن بعد قائمة في عالم الوجود ، اذ لم يكن يومئذ شعب ولا لغة ولا ثقافة ولا حياة يكون من امرها حين تتفاعل ان ينشأ عن تفاعلها ظاهرة انسانية كشكسبير ، فكان على اهل بريتان في عهد زهير ابن ابي سلمى ولبيد ان ينتظروا ثمانية قرون لينشأ فيهم رجل يصح ان يقال عنه : شاعر ، وهو « تشوسر » ثم كان عليهم ان ينتظروا بعـد تشوسر اكثر من قرن ونصف قرن ليأتي شكسبير .

والامة من هذه الناحية تشبه الفرد ، اي ان عليها ان تقرب كثيراً من الاحداث والتجارب لتصبح وحدة متماسكة فعالة . ولكنها تتخلف دائماً عن الافراد — وان انبثقوا عنها — في مناحي الرقي الفكري ، فلا بد لهـا ، حين تسير في تطور صاعد ، من رجال يتقدمونها في معارج الرقي والمدنية ، ثم يقودون خطاهـا ، ويدفعونها في طريق المدنية الصحيحة .

تلك الاحداث والتجارب والعوامل التي تجعل للامة — مثلما للفرد — شخصية خاصة ، بالاضافة الى الاصول العنصرية او الاثنلوجية (النسب) هي ما نعنيه بقولنا « مصادر الروح » في هذا المقام .

الامة البريطانية خليط — اصبح مزيجاً فيما بعد — من شعوب وقبائل متنوعة متعددة ، تضرب كلها ، حسب اصطلاح الاثنلوجيين الى اصل عرق واحد ، هو العرق الآري ، وهذي هي :

أ — الانكليز ، وهم قبائل تنتمي الى السلالة الجرمانية او التوتونية ، يقتربون في نسبهم من العناصر التي استوطنت الشمال الغربي من اوروبا كالالمان والسكندينافيين والدانمركيين .

ب — البريتون ، وينتمون الى السلالة السلتية ، والارلنديون والاسكتلنديون من انسبائهم .

ج — الدان ، وهم اهــل الدانمرك الذين تجمعهم اواصر وشيجة بالانكليز .

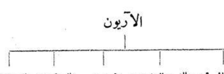
د — النورمان ، او أهل الشمال ، الذين جاءوا من اسكندينافيا (اسوج ونروج) واستوطنوا شمال فرنسا ، ثم احتلوا انكلترا وسكنوها ، وهم من الجذع التوتوني ، بيد انهم وقد عاشوا ردحاً من الزمن في ارض (نورماندي) يتحدر ابناؤها من اصلاب السلت ، واتصلوا بالعنصر اللاتيني ، تأثروا بحضارة روما ، ونقلوها معهم ، يوم عبروا الى الجزر البريطانية .

يظهر من هذا التقسيم ان العنصرين الاساسيين اللذين تكون منهما الشعب الانكليزي هما ابناء الشمال الغربي من اوربا : التوتون والسلت ، او الانكليز والبريتون .

وهذي هي شجرة الانساب الآرية ، تتضح بها روابط الامم في القرب والبعد امام القارىء :

* راجع مجلة الاديب عدد ايلول ١٩٤٦ صفحة ٣٠

الآريون



اما الانكليز الذين غزوا بريطانيا فكانوا ثلاث قبائل : الانجلز ، والسكسون ، والجوتر . وفدت هذه القبائل من حدود المانيا (جرمانيا) الشمالية الغربية ، ولم تكن جرمانيا[1] يوم خرجوا منها سوى سلسلة من الادغال والمجاهل والغابات الكثيفة المترامية ، ترتادها جموع متوحشة من بني الانسان وتكثر فيها المستنقعات كما تكثر الحيوانات الغريبة العجيبة . فوصفها المؤرخ اللاتيني تاسيتوس بقوله : «ارض خشنة بشعة ، يظللها مناخ قاس معتم ، فلا تصلح للتأمل ولا للزراعة» .

كان الانجلز يقطنون منها سواحل البلطيق وسواحل بحر الشمال ، أي في اظلم بقاعها واوحشها ، وكان السكسون الى يمينهم بالقرب من مصبي النهرين : الالب والويزر ، وكان الجوتر في شبه الجزيرة التي تؤلف الدانمرك اليوم ، في أعلى شمال ألمانيا .

ظلت هذه القبائل بدواً رُحّلاً حتى القرن الرابع بعد المسيح اذ اخذت باسباب الحضارة شيئاً فشيئاً ، وعاشت مختلفة سياسياً على الرغم من وحدة وطنها وعنصرها ولهجاتها فطفقت تتصارع فيما بينها وتقتتل ضيقاً بالمناخ الصارم والارض البخيلة حتى افضى بها الصراع الى الضرب في عرض البحار ، وارتياد الشواطىء القريبة والتغلغل في البراري ، والتمرس بالقرصنة وفنون الحرب . وكان من نتائج هذه الحياة المضطربة الصاخبة العنيفة ان نمت الروح العسكرية في النفوس ، واستولى عليها حب الهجرة ، فكان غزو الجزر البريطانية واحتلالها الدائم . . .

سكنوا تلك الجزر ، وخصائصهم النفسية هي خصائص البداوة المعروفة من فروسية اصيلة ، وخشونة عارمة في الطبع ، وميل عنيف للمغامرات ، الى تعلق بما ينزلها العرفُ منزلة القانون كالشرف والشجاعة وحفظ الذمم واغاثة الملهوف ، الى الذود عن الحمى وحب الاستقلال وجعل الحرية فوق كل شيء حتى فوق الحياة . ويضاف الى هذه الصفات البدوية ، صفات « بحرية » انبثت في كيانهم النفسي لكثرة ما مرسوا البحر وطرقاته وعواصفه

غير ان الخاصة الكبرى التي كانت تتمثل جلياً في حياتهم الروحية هي هذه النزعة العميقة الدفينة الى الايمان بالقضاء والقدر ، في حد يشعرون معه ان اعظم الابطال ، مهما بلغ به العزم وواتته القدرة ، لا يخرج عن ان يكون لعبة في يد التصاريف ، او ريشةً في مهب الحوادث ، فكانوا يعتقدون ان ثمة ارادة عليا تسيطر على جميع الارادات ولا سبيل الى التهرب منها ولا حيلة في تغييرها، تتشخص في الإلاهة « وايرد » أي « النصيب » او « القدر » فهي التي تتحكم بما يكون وبما يجب ان يكون .

هذه الطبيعة القدرية عند قدامى الانكليز ، ردتهم الى حالة نفسية مظلمة ، فاصبحوا لشدة استغراقهم في شؤون القدر والموت والمصير ، صامتين هادئين ، واذا هم جديون لا تستخفهم المظاهر ، ولا يستجيبون لدواعي الطرب أنى سنحت وكيف سنحت ، بل هم اقرب لعبوس الكآبة منهم الى مرح الاستهتار ، ولكن على شكل من القوة النفسية الداخلية يحول بينهم وبين اليأس ، ويبعد عنهم الذعر ، ويمنعهم من التفجرات العصبية العقيمة .

واما البريتون فهم سكان الجزر الاولون اذ كانت قبائلهم منتشرة في اسكتلندا وايرلندا وفي اكثر المناطق التي تتألف منها انجلندا الحالية « انكلترا » . وهم يختلفون عن الانكليز اختلافاً تاماً في انسابهم وطباعهم واساليب حياتهم لانهم ينتمون الى السلت في عنصريتهم ، فلما غزاهم السكسون وامتزجوا بهم ، حدث تفاعل عجيب بين العنصرين ، افضى الى ايجاد جيل جديد من الناس ، وبالتالي ، من الثقافة ، وان كانت ثمة وحدة في اللون والمظاهر الخارجية .

فالانكليز اليوم قوم عمليون يبرعون في الادارة والتجارة ، وينكمشون على انفسهم فلا تنكشف سرائرهم ، وهم اقوى في الافعال منهم في الاقوال ، بينا نجد المزاج السلتي يناقض هذه

(1) كان الرومان يطلقون كلمة « جرمانيا » على جميع البلاد الواقعة بين شرقي نهر الرين وشمالي نهر الدانوب حتى بحر البلطيق . اي المنطقة التي تشمل اليوم تقريباً الامصار التالية : هولندا ، المانيا ، الدانمرك ، تشيكوسلوفاكيا ، هنغاريا ، رومانيا .

الصفات تناقضاً شاملاً ، فان السلتي ذو طبيعة حساسة حادة في حساسيتها يتأثر بأقل شيء ، وينفعل لاقل حادث ، وينتقل فوراً من السخط العنيف الى الرضى المشرق المتفتح ، ومن الكآبة الجامحة العارمة الى الفرح الصاخب ، وتراه ينجذب بكل حواسه الى كل مـا من شأنه ان يوقظ العواطف المتباينة المتعارضة ، فيهزه الجميل والمحزن والمشجي والمزعج والمكدر من شؤون الحياة، على درجة واحدة . واذا حدث ما يثير حماسته اندفع بشجاعة حتى التهور ، ولكن العزم يخونه ، حين تتأزم الاحداث ، فلا صبر له على المكاره ، ولا الجلد يواتيه في حومة الاوصاب ، بل يذعن ويستسلم عن ضيق بالصعاب لا عن نقص في البسالة الحربية وينقلب من غير مهاجم الى ثعلب يتحايل . وذلك ما نشاهده في طباع الافرنسيين الذين يضرب بهم عرق متين الى السلت ، فان فيهم هـذا اللون من « التقلب » الناشيء عن اضطراب المزاج وحدته .

غير ان هذا المزاج العنيف المتقلب ينطوي على كنوز اخرى من اللمع الروحية الغراء : وذلك ان السلتي يحب الصحو والاشراق والاشياء الزاهية الملونة ، حتى لتجد ان زخرف اللباس والاثاث والوشي والزركشة عبقرية خاصة تفرد بها اسلافه من بين القبائل الآرية القديمـة ، وعن هـذه « العبقرية الزخرفية » اذا صح التعبير ، انبثقت اكثر العادات والتقاليد التي تدخل جميعها في حيز « البديع » العملي ، لا البياني ، من غرام بالحلي الى عناية بمظاهر الاناقة الى براعة في صنع ادوات الزينة الى افتنان في مزج الالوان وتنويعها واظهار اقصى ما تعطيه من لمعان . وقد ظهرت هـذه الخاصة عند ادبائهم وشعرائهم ، فكانوا يعنون باللون اكثر مما يهتمون للشكل ، وتستهويهم الصيغ البيانيـة والصور اللفظية اكثر مما تستهويهم الافكار العميقة الدقيقة .

الى جانب هذا الروح الزخرفي تحس لدى هؤلاء البريتون بحب عميق للطبيعة يشمل كل ما فيها من متع وصور وجمالات ، فـلا يفوتهم معنى من معانيها المنبثة في مغاني الفجر الضـاحك ، المتسربة في ظلال الاشجار وغناء الاطيار وخرير الانهـار ، ولا توانوا يوماً عن استغلال تلك المعاني في تزيين الحياة وبعثها فرحة مفرحة في القلوب والعقول .

وترافق هذا الحب للطبيعة ، نزعة للعواطف غريبة يعسر وصفها اذ انها ليست بالانفعال الصبياني ولا هي ضرب من السطحية في الشعور ، وانما هي شيء يشبه ما في الانوثة الحكيمة الواعية من حنو او « حنان » الذي يستشعره الانسان في حالات خـاصة من الاحساس ، ينسجم بها مع الوجود ومع نفسه ، ويستمتع باحاسيسه وعواطفه ، كما يستمتع اهل الفن بالفنون .

بعد غزوة الانكليز التوتونيين للجزر البريطانية وامتزاجهم بالقبائل السلتية الاصيلة اقبل الفاتحون من الدانمرك فاقاموا بها بعد معارك تتراوح مراحلها بين الطول والقصر ، وكان الرومان قبل الانكليز والدانمركيين قد جاءوها وخلفوا فيها آثار ثقافتهم . ولكن اعظم هذه الموجات البشرية اثراً في لغة بريطانيا وآدابها هي موجة النورمان الاخيرة التي حدثت في النصف الثاني من القرن الحادي عشر . وهؤلاء النورمان ليسوا في الاصل غير شرذمة من القرصان المغامرين ، انحدروا من اسكندينافيا جنوباً ، واستطاعوا ان يقتطعوا من ارض فرنسا الشمالية منطقة استوطنوها وعمروها . ولكن فيهم من المواهب والميزات ما جعلهم يتملكون اغنى بقاع اوربا واجملها ، فهم اهل فطنة عجيبة ، وقدرة على التكييف لا مثيل لها ، يتقبلون كل فكرة ويتمثلونها ويستفيدون منهـا في تركيز حياتهم وبسط سلطانهم ، فكان ان اقتبسوا حضارة روما ، واخذوا عنها لسانهم ، واعتنقوا النصرانية فلما انتقلوا الى بريطانيا نقلوا معهم اللغة والثقافة والدين وفرضوها جميعاً على مغلوبيهم ، ووفقوا في ذلك الى حد بعيد . ويمكن تلخيص اثر غزوة النورمان في حياة بريطانيا الى نقاط ست وهي : ١ – جعلت بريطانيـا تحتك مباشرة بمدنية اليونان والرومـان . ٢ – زادت الروابط ووطدتها بين الحضارة اللاتينية والحضارات الشمالية . ٣ – جاءت في وقت كانت به انكلترا محتاجة الى آفاق فكرية جديدة . ٤ – غذت الحركة التقدمية وبعثت فيها الحياة الفنية والعلمية والادبية . ٥ – ادخلت قالباً شعرياً جديداً . ٦ – اغنت اللغة الانكليزية بما نقلت اليها من الالفاظ والتراكيب .

وقد استمرت هذه العناصر المتنوعة تتفاعل فيما بينها وتختمر آخذة عن مركز الحضارة الاكبر يومذاك ، وهو الاندلس العربية ، متأثرة به ، مقلدة له ، حتى استهل القرن الرابع عشر ، فوقفت على قدميها ، وسارت الى الامام ، ولا تزال في سيرها . . . وهكذا تكونت الروح البريطانية ، فكانت مدنيتها آخر المدنيات ، جامعة في نسبها ، وتاريخها وعنصرها ولغتها وحتى في جغرافيتهـا جميع الانساب والتواريخ والعناصر واللغات . . .

صيدا عبد اللطيف شرارة

التقينا عفواً

☆

يا طيبها، يا حبها المستفيق ... مرت، كتهويم الجناح الطليق
خطى، يحس الكون من وثبها ... والافق يندى بالسحاب المريق
يا .. تحتها خفق جناح نزا ... ومهجة تشوى، وقلب سحيق
تكاد تحكي الارض اشواقها ... او تتشكى لاحتباس وضيق
هذا السنا ارحب من افقها ... يعيك، فالمجهول فيه غريق

*

بعدك مرت في سؤال دني ... سكرى به دون الجواب الخليق
وعيته وجدي فيا موضعاً ... حفظت، ما زلت الوفي الصديق

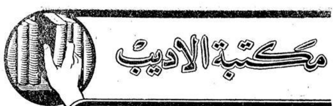
*

عد يا حبيب الروح نغمر سناً ... نعابث النجم ببعض البريق
ونفرش الارض بأعراسنا ... فتسكر الريح بنفح عبيق
وكل ظل ملعب للهوى ... وبيت احلام صبانا العتيق
احجاره من زهرات المنى ... جدرانه حب وحس عميق
من عمد الاشواق اركانه ... وسقفه عين الاله الرفيق
علقت فيه مشعلاً للهوى ... قلبي وفيه زيت روحي الدفيق

*

من قبل الاعماق كاساتنا ... ومن مناجاة العيون الرحيق
ومن اقاصي الذات نسياننا ... دنيا، لدنيا من هوى مستفيق

درعا ــ سوريا ... علي محمد شلق



١ — التربية الوطنية

للاساتذة محمصاني وشهلا وجحا — ٣١٤ صفحة — دار العلم للملايين — بيروت

ما كان جائزاً ، ولبنان الجديد في مرحلة من مراحل الحسم في حياته القومية ، ان تظل المكتبة اللبنانية خلواً من كتاب يبصر اللبناني بنظام الحكم الذي اصطفاه لبنان لنفسه وتشكيلاته الادارية ليكون مواطناً صالحاً يدرك تبعاته وحقوقه ويعمل على خدمة الوطن الذي هو جزء منه .

ادرك هذه الحاجة نفر من رجال لبنان العاملين في حقلي التربية والقانون هم الدكتور صبحي المحمصاني الرئيس في محكمة الاستئناف واستاذ المجلة والقانون الروماني في الجامعة الاميركية والاستاذ جورج شهلا احد اساتذة التربية في الجامعة الاميركية في بيروت ومدير المدرسة الابتدائية التابعة لها ، والاستاذ شفيق جحا احد اساتذة التاريخ بالكلية الثانوية العامة في الجامعة الاميركية ايضاً ، ففرغوا للتأليف في هـذا الموضوع الخطير ، فوضعوا هذا الكتاب ، واخرجوه في طبعتين الاولى خـاصة بجمهرة القراء ، وهي التي بين ايدينا ، والثانية خاصة بطلاب المعاهد الثانوية . ولم يغفلوا المدرسة الابتدائية لما لتنشئة الجيل الجديد ، من اول الطريق ، على التربية الوطنية من اثر في تكوين الامة الصالحة ، فاختصروا كتابهم الثانوي وقدموه الى طلاب المدارس الابتدائية باسم « مبادىء التربية الوطنية » .

والطبعة الخاصة بالجمهور من هذا الكتاب الفريد سفر ضخم ، يقع على نحو من ثلاثمائة وخمس عشرة صفحـة من القطع الوسط وتمتاز من سائر الكتاب بما حفلت به من الشروح التاريخية والتعليقات التي تهم المحقق في تاريخ لبنان الحديث وبما اتسعت له في صفحاتها الاخيرة من النص الكامل للدستور اللبناني وفق آخر تعديل طرأ عليه . وهي تقع في خمسة ابواب وخاتمة وملحق . يبحث الباب الاول منها اشكال الدول وانظمة الحكم والدستور والسلطات ، ويبحث الباب الثاني السلطة الاشتراعية ممثلة بمجلس النواب فيفصل القول في شروط الناخب والمنتخب ، والانتخابات ، واصول ادارة الجلسات ، ويبحث الباب الثالث ، وهو اطول ابواب الكتاب على الاطلاق ، السلطة الاجرائية ، ابتداء من رئيس الجمهورية ومجلس الوزراء حتى المختار وهو اصغر ممثل للسلطة الاجرائية في الدولة اللبنانية . اما الباب الرابع فيعرض للحكومة ومجلس النواب ناظراً في سن القوانين والموازنة وسقوط الحكومة وحل المجلس ، في حين يعرض البـاب الخامس للسلطة القضائية وتنظيم المحاكم اللبنانية على العموم .

ولعل اروع فصول الكتاب هو ذلك الفصل الاخير الحامل عنوان « خاتمـة » وفيه يدرس المؤلفون موقف لبنان من جاراته العربيات اولا وموقفه من الدول المحبة للسلام ثانياً . ويتوسعون في الكلام على الجـامعة العربية من ناحية ، وعلى منظمة الامم المتحـدة من ناحية ثانية وهما المنظمتان اللتان انضم لبنان اليهما فمكن لنفسه في الاسرة العربية وفي الاسرة العـالمية واقام سياسته الخـارجية على اساس لا بد ان ينتهي به الى الرفعـة والازدهار .

واذا كان لنا ان نتمنى على المؤلفين شيئاً فهو ان يعملوا على اصدار كتاب آخر يكون نبراساً في التربية الوطنية العربية ولا تقتصر مباحثه على اداة الحكم اللبناني دون سواها . نقول ذلك مع ادراكنا ان القارىء العربي من اي اقطار العروبة كان ، خليق بان يفيـد من كتابهم هـذا لمـا بين النظم السيـاسية والتشكيلات الادارية في البلاد العربيـة عمومـاً من تشابه واقتراب .

٢ — تجديد مناهج اعداد المعلمين في العراق

للدكتور خالد الهاشمي — ١٥٢ صفحة — دار العلم للملايين — بيروت

عهدنا كتب التربية قاسية العود قليلة الماء ، والفناها بعيدة عن الطلاوة والطراوة ولكننا هنا امام كتاب يقرأ في شوق ثم تستعاد قراءته في روية وفي اناة وما ذلك الا لانه صحيح البناء ، متماسك الاجزاء ولان لصاحبه رسالة يصدر عنها .

فالدكتور الهاشمي عميد دار المعلمين العالية ببغداد يلاحظ ان العالم العربي الذي اخذت ثقافته تؤثر ويتأثر بالثقـافات الغربية يتمخض عن ازمات اجتماعية واخلاقية ونفسانية خطيرة . فلا بد وسط هذه الفوضى الضاربة الاطناب من معرفة الاهداف الصحيحة

والمقاييس الخلقية الدقيقة والطرق الواضحة والنظم الاجتماعية الملائمة التي تضمن لامتنا غدها الناجح ومستقبلها الامين السعيد .
وبكلمة ثانية لا بد لنا من اعادة النظر في القواعد التي تقوم عليها التربية في البلاد العربية ابتغاء تعديلها بما يتفق وتراث الامة العربية وآمالها كأمة كبيرة .

وكذلك يضع الدكتور الهاشمي الاساس لتربية سليمة على ارض من الصخر . وعنده ان التربية في البلاد العربية ، وخاصة في العراق ، يجب ان تهدف الى غرضين كبيرين ، اولهما دراسة الثقافة العربية الاسلامية الغنية ، وتبيان مواطن التناقض والتصادم والضعف فيها كخطوة تمهيدية لتفسيرها وتجديدها وفق اغراضنا الحاضرة ، وثانيهما اشاعة روح الديمقراطية في المدارس كوسيلة لتكوين الشخصية المستقلة الواعية عند الطلاب ، وبالتالي عند افراد الامة جميعاً .

والحق انها لجرأة بالغة من المؤلف يحمدها له المستنيرون من ابناء الجيل الجديد : وانمـا تتمثل هذه الجرأة في صراحته التامة في معالجة القوى المتصادمة في الثقافة العربية الاسلامية وفي نصه على حاجتها الى التعديل والتشذيب ، لتتلاءم وروح العصر ، بقدر ما تتمثل في ثورته على الطرق القديمة في وضع المناهج واساليب التدريس والضبط الاداري ودعوته الى ان تكون المدرسة مؤسسة تتمثل فيها الحياة الديمقراطية .

على ضوء هذه الرسالة الشاملة كسر الدكتور الهاشمي كتابه الى ثمانية فصول ، يتناول الاول والثاني والثالث منها الكلام على الثقافة العربية الاسلامية ومقوماتها ومواطن التباين والتصادم فيها وينظر الفصل الرابع في تطور مفهوم المثل الاعلى للديمقراطية ، ليتقدم في الفصول الاخرى الى تفصيل القول في احوال العراق وصلتها بالتربية والتعليم (الفصل الخامس) وفي الدراسة الاولية والابتدائية في العراق (الفصل السادس) وفي معاهد اعداد المعلمين في العراق (الفصل السابع) منهياً الى اقتراحات تمثل نضج المؤلف وقيمته كعقل تربوي فذ ، حول ايجاد برنامج جديد لاعداد المعلمين في العراق .

فعسى ان يفيد المربون في الاقطار العربية كلها من آراء الدكتور الهاشمي وثمرات تجـاربه ، فلسنا نشك في ان المشكلة التربوية في العراق هي هي المشكلة التربوية في لبنان ، وفي سوريا ، وفي مصر وفي كل بلد ينطق اهلوه بالضاد .

« قدامة »

١ ــ الظرفاء والشحاذون في بغداد وباريس

للاستاذ صلاح الدين المنجد – ١٢٧ صفحة – مطبعة الرسالة – مصر

لدى القدامى من مؤرخين وادباء ، كان هذا الميل الى تقييد اخبار فئات تفردت بشذوذ او مجانة ، او بصفة عزلتها عن سائر فئات المجتمع .. ذلك الميل الذي يطالعنا بمثله اليوم الاستـاذ المنجـد ، ويعنى به في كثير من الحرص والدقة والتحري والاستيعاب .. وغريب اهماله والعزوف عنه وهو لون ماتـع ، يشوق كثيراً ، ويروق كثيرا .

ولدى القدامى لم يكن ميلا فقط ، بل رغبة يد بها نهم ، واتصلت حتى بالمتزمتين من الفقهاء والمحدثين بله سواهم من الادباء ، فدارت على اقلام هؤلاء وهؤلاء .. وبفضل ما فيها من حياة ، قدمت امتع الادب وآنقه في بخلاء الجاحظ ، حتى فن المقامة فقد كانت حياة هذه الفئات مادته الاولى واهم ما احتفى به .

ولعل القارىء يكون فكرة واضحة عن تلك الرغبة الملحة ، وهو يمر بمثل كتاب المتطرفات لاحمد ابن ابي طـاهر ، وكتاب ظرفاء المدينة لابي ايوب المديني ، وكتـاب الظراف والمتماجنين لابن الجوزي . وكتاب الطفيليين او التطفيل للخطيب البغدادي ، وكتاب اخبار الطفيليين لابي الفرج الاصبهاني ، وكتاب الطفيليين للجاحظ ، وكتاب المجانين الادباء لابي سهل الحلواني ، وكتاب عقلاء المجانين للنيسابوري . وكتاب الحمقى لعلي المدائني ، وكتاب الحمقى والمغفلين لابن الجوزي . وكتاب اللصوص والعرجان والبرصان للجاحظ ، وكتاب السحاقات والبغائين والثقـلاء للصيمري ، وكتاب الخمارين والخمارات المديني ، الى كثير غيرها يفوت حد الاحصاء .. وكلها يدل على مبلغ العناية بهذه الجوانب من الحياة التي يصدف عنها الادباء اليوم ، اعتداداً منهم بتفاهتها ، وهم بذلك يخطئون فهم الادب في جوهره الخالص ...

فجاء الاستاذ المنجد يسد هذا النقص ، وليس بعمل ساذج يكتفي منه بالجمع وتجويد العرض . بل هو يجمع ويدرس وينقد ثم يعرض كل ذلك عرضاً فيه خلب وفيه اغراء . على انه لا يكتفي بهذا كله ، بل يستعرض اشباه هذه الصور عند امم اخرى ثم يذهب فيقارن ويقابل ، وانت معه في مثل اخذة ومثل نشوة .

وكتابه بعد ذلك يكشف لنا في قسمه الاول عن حقبة الترف في الحياة العربية ، وعن معنى الظرف والمتظرفين هنا وهناك ، وعن اثر بغداد وقصر رامبويه في الظرف العربي والآخر الفرنسي وعن سير

الظرفاء، وما يتصل بهواهم في معنى اللباس والحلي والطيب والمطعم، وبهواهم في معنى القلب، فاتى على ذكر محبوبات الظرفاء كظبية الوادي محبوبة «مطيع بن اياس»، واتى على ذكر عشاق الظريفات ويحدثنا عن التزين وفن التجميل عندهم، وعن فضل الاديرة على الظرف، وعن ادب الظرفاء، وخصائص هذا الادب، وساق طائفة منه نكتفي بنموذجين من شعر ونثر :

قد بدا شبهك يا مولاي يحدو في الظلام
قم بنا نقض لبانات التزام والتشام
قبل ان يفضحنا عودة ارواح النيام

وكتبت « عريب » الى احد اصدقائها .

بنفسي انت وسمعي وبصري، وكل ذلك لك . اصبح يومنا هذا طيباً — طيب الله عيشك — قد احتجبت سماؤه، ورق هواؤه، وتكامل صفاؤه . فكأنه انت في رقة شمائلك وطيب محضرك ومخبرك، لا فقدت ذلك ابداً منك» . . وفي قسمه الثاني يحدثنا عن الشحاذة والفقر، ثم عنها مثل مهنة لها اسرارها وحيلها المعقدة، وعن ادب الشحاذين واكبر اعلام هذا الادب مثل الاحنف العكبري، ومن شعره يصف فيه المدى البعيد الذي يبلغه الشحاذ في تطوافه :

على اني بحمد الله في بيت من المجد
باخواني بني ساسان اهل الجد والجد
لهم ارض خراسان فقاشان الى الهند
الى الروم الى الزنج الى البلغار والسند

وهكذا يطالعك فيه المؤلف بكل طريف، ذاهباً بك مذاهبه بين اللذة والدهشة .

ورغم ما يمتاز به الاستاذ المؤلف من تحقيق، فقد فرطت منه بعض هنات احب كثيراً لو عري عنها، ولا سيما ضبط اعلام انصرف الى تحقيق مؤلفاتهم مثل صاحب كتاب « الديارات » فقد اورده في كتابه هذا كثيراً، وفي كل مرة يورده هكذا « الشابشتي » بشينين، وانما هو « الشابستي » بالشين والسين نسبة الى « شابسة » قرية من قرى « مرو » . . وهو محمد بن اسحاق صاحب خزانة كتب العزيز بن المعز بمصر، توفي سنة ٣٩٩ ايام الحاكم بامر الله، وله كتاب الديارات وكتاب اليسر بعد العسر وكتاب مراتب الفقهاء، وديوان شعره . وهذا التصحيف وقع في اكثر النسخ المخطوطة والاصول، وحذراً من شيوعه واعتمادة لفتنا النظر اليه .

ومهما يكن، فالكتاب من اطرف ما مدت المطبعة به المكتبة العربية .

٢ — نظام الحكم في العراق

للدكتور مجيد خدوري — ٢٠٠ صفحة — منشورات مجلة المعلم الجديد — بغداد

لعلنا اليوم — وقد تشابكت الحركات العربية وتواصلت — احوج ما نكون الى « التصرف القومي » في استيعاب وشمول وعمق، حتى لا يكون كل قطر من قطر الا كما هو من نفسه معرفة واختباراً واستجلاء، وبذلك تجيء الحركة للكل العربي وقد اتسقت استجاباتها باتساق محرضاتها . . .

فنحن العرب اليوم اذن في حاجة اكيدة الى المعرفة البصيرة، بخصائصنا الاقليمية وصيغ هذه الخصائص التي تتمثل في النظم والاوضاع والسنن المشخصة الاخرى .

وفي هذا الكتاب الذي نعرف به عرض لنظام الحكم في العراق واطوار هذا النظام، ومراحل انتقالاته تحت اعباء الظروف في هذه الفترة الحديثة التي بدأت بالانتداب . على ان من الحق ان ننصف فنقول انه لم يأت غرضاً خالصاً فقط، بل جاء بحثاً تحليلياً في عرض محقق شيق ولا سيما في الفصل الرابع ص ٧١ — ١٢٤ الذي اداره الاستاذ المؤلف على درس سير الحكومة والسلطة التشريعية والاحزاب السياسية والقوى المؤثرة في سير الحكم .

فالكتاب ليس تاريخاً يصلك بابعد ما يعرف من نظام الحكم في العراق ثم يمر بك في كل ادواره الى احدثها، بل هو وصف لحياة السياسة بكل ارتساماتها لم تزل تخالط الواقع العراقي وتفرغ عليه الوانه . فهو اذن جزء مما ذهب الناس يصطلحون على تسميته بالتربية الوطنية .

ومن الخير ان نصل القارىء باجماله ليكون سبيلاً الى تقدير تفصيله، فقد عقده الاستاذ المؤلف على ستة فصول، تناول في الفصل الاول تأسيس الدولة العراقية وتجربة الانتداب ثم تحرره منها . وفي الفصل الثاني تناول بحث الدستور العراقي ومصادره ومميزاته وتعديله . وفي الفصل الثالث تناول الجهاز الحكومي والنظامي الملكي لامتيازات التاج والوزارة والتنظيمات الادارية . وفي الفصل الرابع تناول سير الحكومة . وفي الفصل الخامس تناول بالبحث التعديل الثاني للقانوني الاساسي . وكسر الفصل السادس على خاتمة بحث فيها قيمة النظم العلمانية وصلاحيتها للامم الشرقية وعرض الآراء الآخذة بها مأخذ الايجاب او السلب، على انه ينتهي اخيراً الى تفضيلها مها اتفق معها من الاخطاء، فان « مهمة النظام العلماني في الوقت

الحاضر هي تربوية في الغالب ، ليتمكن ابناء الجيل الحاضر من التدرب على النظام الديموقراطي والاستفادة من الاخطاء التي تجابههم كل يوم ، حتى تتكون تقاليد ديموقراطية خاصة ببلادنا بمرور الزمن ، تضمن للجيل القادم سير الحكومة بصورة ادنى الى المبدأ الديمقراطي » ص ١٧١ .

ثم يتبع ذلك كله بملاحق لها قيمتها ، ضمن الملحق الاول الوزارات العراقية المتعاقبة من سنة ١٩٢١ حتى الوزارة القائمة اليوم وزارة العمري . وضمن الملحق الثاني اسماء الوزراء وعدد المرات التي اشتركوا فيها بالوزارات المختلفة . وضمن الملحق الثالث دورات مجلس الاعيان منذ دورته الاولى سنه ١٩٢٥ حتى دورته السادسة القائمة اليوم ، وضمن الملحق الرابع الاحزاب العراقية واسماء زعمائها وتاريخ تشكيلها وانحلال ما انحل منها . وضمن الملحق الخامس اسماء المعاهدات والاتفاقات وتواريخ توقيعها من سنة ١٩٢٢ الى سنة ١٩٤٥ .

ولعل القارىء بعد هذا كله يدرك اهميته وفائدته ، ويدرك اي جهد مبرور هو ، أن في تأليفه او في ترجمته الى العربية التي نهض باعبائها الاستاذ فيصل نجم الدين اطراقجي او في نشره وتعميمه .

٣ — حروف من نار

للاستاذ عمر ابو قوس — ١٠٢ صفحة — مطبعة الطباخ اخوان — حلب

حروف من نار ، ولكنها البركان تهدر هديره وتتفجر تفجره ، وتضطرم بمثل حمه . استوت في قصائد انتظمها ديوان ، يهزك في بعض منه ، ويطربك في بعض منه ، ويبعث فيك لهيباً

اقدس في اي منه ،

وشاعرنا الملهم ازجاه في الناس يوم الجلاء ، شعلة من شعلات الجهاد الوطني التي احرقت واضاءت . . وعسى ان شعلات ذلك الجهاد تستحيل في كيان هذا العهد ، ناراً في مسرى اعصابه ونوراً في مستقر وعيه وضميره . . مثلما يقول :

اما ترى شعلاً في الليل طائرة مثل النجوم حكت من روحنا شعلا

وهو الى ذلك متين الديباجة الشعرية انيق الاداء البياني ، واسمعه في مقطوعة « نداء الزعيم هنانو » :

الليل مذبوح على انصابه والفجر في جنباته يتبسم
والحزم ملء ترابه واهابه والعزم في اكفانه يتضرم
قبس من الروح العلي ودوحة تربو على مر الزمان وتعظم
مدت على الاوطان خضر ظلالها وجرت لها في كل واد انعم

وهكذا هو في سائر مقطوعاته الاخرى ، يتسق نظمه بين قوة من روح وقوة من سبك ، وقلما تخونه موهبته وتقعد به دون مداها في الجودة والاحسان .

« ابو عبادة »

١ — المؤسسات العامة السورية اللبنانية

للدكتور صلاح الدين الطرزي — ١٧١ صفحة — باللغة الفرنسية
شركة الطباعة والنشر — بيروت

صلاح الدين الطرزي الذي عرفناه رفيق دراسة هو احد السوريين الذين يمتازون بعمق الثقافة وسعة الاطلاع ، ومن الذين تستطيع سوريا بان تفخر بهم . فان اطروحته « المؤسسات العامة السورية اللبنانية » التي نحن بصددها الان ، لجديرة بان تصنف مع المؤلفات التي وضعها شباب سوريون مثقفون كأطروحة « الدستور السوري » للدكتور منير العجلاني ، او « التطور السياسي في سوريا تحت الانتداب » لأدمون رباط ، او « الاجانب امام القضاء في سوريا ولبنان » لفؤاد شباط .

ان كتاب « المؤسسات العامة السورية اللبنانية » في حاجة مكتبة اي امرىء حريص على تتبع التطورات في بلدين شابين ، تبشر البوادر على ان مقدراتها سيكتب لها مستقبل زاهر في عالم الغد .

ونحن نستطيع وصف عمل الاستاذ طرزي بالعمل الحقوقي حقاً الذي اشبع درساً واستقصاء ، وروعي في بنائه الذوق والمتانة والطابع الشخصي ؛ انه عمل شاب ولكنه عمل ناضج .

على اننا نرغب الى الاستاذ طرزي ان يأتينا في الاثر الذي سيعقب هذه الاطروحة ، والذي سيكون له بلا شك نصيب

وافر من الانتشار ، بتفصيلات اكثر وضوحاً واتساعاً لان ذلك الاثر لن يكون مقيداً بعامل الظرف مثله في هــذا الكتاب «المؤسسات العامة السورية اللبنانية» فهو لذلــك يبدو لنا رغم استيفائه الموضوع استيفاء كاملاً موجزاً بعض الشيء . فان بعض المؤسسات كالمصالح المشتركة او نظام الجمارك مثلاً تحتاج الى توسع في درسها وتحليل انظمتها . ويسرنا ان نقرر ان الاستاذ طرزي قد جاء في اطروحته بالاداة اللازمة التي لا غنى عنها لتفهم الجهاز الاداري في سوريا ولبنان —

ان كتاب «المؤسسات العامة السورية اللبنانية» هو تاريخ في عهد المؤلفات التي تتناول دراسة الحياة الاجتماعية والسياسية والحقوقية والادارية في البلاد الشرقية . ولن يفوتنا قبل اختتام هذه الكلمة التنويه عن الاهداء . فقد اثرت فينا صيغته اعمق تأثير . فاهداء الاستاذ طرزي مؤلفه لذكرى والدته (وقد كانت سيدة عظيمة) يعرفنا السبب الذي حمــله على وصف هــذا المؤلف « بالعمل الشخصي » .

٢ — نظام العمل

للدكتور حكمة هاشم — ١٥٦ صفحة — باللغة الفرنسية — المكتبة الشرقية والاميركية باريس

الف هذه الرسالة اطروحة متممة لاطروحة كبرى عنوانها : نقد مذهب المثاليين والافلاطونية الحديثة عند الغزالي وذلك لنيل الدكتوراه في الفلسفة التي نالهــا المؤلف بدرجة مشرف جداً وهي كتاب من الكتب التي لهــا قيمتها الخاصة ، اذ ان معظم الاوروبيين مــا زالوا يجهلون الــتراث العربي الضخم الفلسفي والادبي . فان ابرز الاسماء التي يتألف منها هذا التراث كاسم ابي حامد محمد الغزالي او ابي بكر محمد بن العربي مثلاً ، لا تعرف في الغرب الا في اوساط المستشرقين وذوي الالمام بالعلوم العربية . ولهذا فان ترجمة السيد هاشم لأثر من اهم آثار الغزالي الى الفرنسية وهو نظام العمل سيكون له صــداه في الاوساط الغربية التي لا تعلم شيئاً عن المدنية الشرقية .

ان السيد هاشم قد مهد الطريق ، والمأمول ان يقتفي اثره سواه من المثقفين السوريين الذين يهمهم ان تنقل الى الفرنسية والانكليزية مؤلفات الغزالي التالية : جواهر القرآن — العقيدة — الدرة الفريدة ايها الولد (وهو مترجم بالألمــانية) وجدير بالذكر ان نظام العمل قد نقــله الى العــبرية ابراهيم بن Hasdai من برشلونه .

ان نظام العمل في رأينا احــد الكتب الرئيسية التي تعــالج موضوع علم الاخلاق . وليس بحاجة المرء ان يكون صوفياً لكي يعنى بكتاب متين السبك والــتركيز ككتاب علم الاخــلاق للغزالي . ولقد قدم لهــذه الاطروحة المستشرق الفرنسي الكبير لويس ماسينيون ، وهــذا الامر يدل على مبلغ ما للكتاب من قيمة ، فجدير بكل مثقف يهتم بالفكر العربي — ان يقتنيه في مكتبته .

رمون لوار

فلسطيننا : صراع ام تعاون

للدكتور جابر شبلي — باللغة الانجليزية — ٤٠ صفحة — الولايات المتحدة

لم تعرف فلسطين معنى السلام منــذ خمس وعشرين سنة ، ولن يسود السلام في ربوعها ما لم تتبدل الفكرة القائــمة وتتغير السياسة الراهنة . اما اذا استمرت الدول القوية على فرض ارادتها دون ان تكترث لاماني العرب او تهــتم بحقوقهم ، واذا اصر الرئيس ترومان وبطانته من الصهيونيين او انصارهم على تأييــد المطامع الصهيونية ومناصرة عدوانها وتعزيز ارهابها فلسوف يطول النزاع ويحتدم الصراع وتتعرض البلاد العربية باسرها لاشد انواع الاخطار .

ذلك لان العالم العربي المتيقظ الواعي يؤمن ايماناً قوياً بان الخطر الصهيوني لا يقتصر على فلسطين وحسب وانما يشمل سائر الاقطار العربية وهو يدرك ادراكاً تاماً بان تشوف الصهيونيين الى سراب الوطن القومي في فلسطين انما هو خطوة لبسط نفوذهم على سائر ارجائه ، وعلى هذا فقد حزم امره على صد هذا التيار الجارف وعقد نيته على تبديد هذا الحلم الخادع من رؤوس الصهيونيين بكل ما اوتي من حول وطول ، حتى ولو اضطر الى اراقة آخر نقطة من دماء ابنائه .

وما هذه الرسالة التي بين ايدينا الا محاولة صادقة منصفة لاجــلاء هذه الفكرة ، فقد هال مؤلفها الكريم نشاط الدعاوة الصهيونية في امريكا فأخذ ينشر المقالات العلمية الرصينة في امهات المجلات الامريكية مفنداً المزاعم الصهيونية الباطلة مؤيداً حقوق العرب الصريحة . ثم جمع هذه المقالات في هذه الرسالة تعميماً لفائدتها . ومع انها صغيرة الحجم لا تعدو صفحاتها الاربعين فهي تمتاز بقوة الحجة وبلاغة الاسلوب

والدكتور جابر شبلي ، مؤلف الرسالة ، لبناني كريم قصد امريكا بعد ان تخرج في جامعة بيروت الامريكية لمتابعة دراسته

وهو يحمل درجات علمية رفيعة من كلية اوبراين وجامعة داكوتا الشمالية وجامعة ويسكنسن وجامعة كولومبيا، ولا يزال حتى اليوم استاذاً الرياضات في كلية بنسيلفانيا منذ عام ١٩٢١ كما انه الف كتابين نفيسين في حقل اختصاصه

وعلى كثرة ما قرأنا من المؤلفات التي وضعت عن القضية الفلسطينية فاننا نميل الى الاعتقاد بان هـذه الرسالة هي من خير ماكتب في هذا الصدد فهي دفاع مجيد عن هذا القطر العربي العزيز الذي هو بمثابة القلب في جسم الدنيا العربية؛ وهي صرخة عربية داوية في سبيل العروبة والحق والعدل .

احمد المغربي

البستان

للاستاذ محمد اسعاف النشاشيبي — ١٧٦ صفحة — منشورات دار المعارف — مصر

عرفنا الاستاذ النشاشيبي شيخاً من شيوخ العربية المحققين، وعلماً من اعلام القاموسيين . . ولكن شاء الى ذلك ان يطالعنا بمجموعة قصد بها الى تركيز الاختيار على اسس التربية ونوامي الاستعداد، فتأدت فيها وتعاطت خلالها روح المعلم البصير وروح الاديب المتذوق .

وما كان التخير في اية وجوهه سهلاً، بل هي خطة اعقد من التأليف استئناء فيها . . وقديماً قيل :

قد عرفناك باختيارك مذكان دليلاً على اللبيب اختياره .

فكيف وهو اختيار محدود بمساوقة الحياة في هيكل الطفولة الذي لم يزل محجباً، وكهنته لما يزالوا في مجهلة دونه . . فكان كبيراً لذلك ان نجد هذا اللغوي العالم في مجموعته « البستان »، كاهناً من كهنتها المستشرفين النافذين .

عصر السريان الذهبي

للفيكنت فيليب دي طرازي — ١١٩ صفحة — مطبعة جدعون—بيروت

حقاً هو كبير هـذا المجهود الذي بذله الفيكنت في كتابه، على انه موضوع لم يطف به الكثيرون في العربية؛ رغم انه في حاجتنا حين ندرس الحيـاة العقلية والادبية في نهضة العرب التاريخية الكبرى .

ولقد وفق الاستاذ المؤلف في اختيار موضوعه المحدود بالعصر الذهبي السرياني، ووفق في التتبع والاحصاء، ووفق فوق ذلك في التصنيف والتبويب. فقد عقد كتابه على فصول، بحث في الفصل الاول العصور الذهبية للامم واهميتها، وفي الفصل الثاني حـدد عصر السريان الذهبي مشيراً الى الاختلاف في نهايته فقد اتفق على انه بدأ مع المائة الرابعة الميلادية ولكن انتهى مع القرن السابع عند البعض ومع القرن الثامن او التاسع عند آخرين. وفي الفصل الثالث تكلم عن مـدارس السريان وجهابذتهم، واستمر في الفصول التالية يتحـدث عن مكانة بطريركية السريان وانتشار عقيـدتهم وتأثيرهم في الاقباط والاحباش والارمن والعرب، وعن علاقاتهم بالفرس وبالخلفاء المسلمين وبقياصرة الروم وبملوك الصليبيين وبالسلجوقيين وبالتتر، وعن ذخائرهم وكنوزهم الثمينة وابنيتهم الاثرية وكنائسهم، وعن الفنون الجميلة كالتطريز والنقش والموسيقى والخط، وعن نفائس مخطوطاتهم ومكتباتهم .

والمؤلف في كل ذلك متحر متتبع، لولا انه يعتمد احياناً مصادر مضعوفة واهنة، واحياناً مصادر ثانوية قليلة القيمة، حتى كاد عمله في كتابه لا يعدو « القمش » على حد تعبير القدماء من محدثي العرب اي الجمع الخالص من اي طريق .

وهـذا القمش كما نود ان نعبر، اوقعه في اخطاء منكرة من اهمها ما ورد في ص ٦ س ١٤، حيث عد يعقوب الكندي فيلسوف العرب سريانياً، وهو من حيث العرق عربي صليبة ومن حيث الدين مسلم عريق .

فكان بودنا لو تنخل اكثر مما فعل، وتحرى اكثر مما ابدى . ومهما يكن فقد احسن وقدم جهداً خيراً .

عمار بن ياسر

للاستاذ عبد الله السبيتي — ١٩٦ صفحة — منشورات مكتبة الجامعة — بغداد

عمار بن ياسر من الشخصيات الفريدة التي لا يسعنا الا اكبارها كلما رمنا درس حركة الانبعاث العربي الاولى . . فقد كان مثال المؤمن بالمبادىء، المكافح من اجلها، المستبسل بين يديها ولو الى مصير احمر مرير .

وكان الى ذلك داعياً من اكبر الدعاة الاصلاحيين، فلا بدع اذا كانت حاجتنا الى درسه اكيدة، والتعمق بفهم خصائص معنويته ماسة، فجاء هذا الباحث المحقق—وقد اوفى موضوعه واستمكن من اداته — يسد هذا النقص، وحبذا هو صنيعه الذي اتى حلقة بارزة بين حلقات البعث والاحياء .

بروق ورعود

للدكتور داهش – ١٠٨ صفحة – مطابع روطوس – بيروت

مجموعة من الشعر المنثور ، سجل بها طائفة من التصورات في طائفة من الصور ، فجاء اكثرها حساً عنيفاً وخيالاً مزمجراً ولفتات شزراء حاقدة بالحياة والاحياء ، ولا سيما في مقطوعات ذئاب مفترسة وكافورة وانعتاق والشهوة الجامحة ووهم معبود ومتى الانطلاق واشمئزاز واليأس الابدي .

على ان نسمات ندية تمر به فتمسه ، ولكن بانتعاشات مضمحلة خذه في مقطوعة ايها الكرى واليك ايها العصفور .. وله في بناء القطعة طريقة تتفق مع بعض انواع الموشح ، فهو يبني القطعة على ستة اشطر ينتهي الشطر الاول منها بقافية يلتزم مثلها في الشطر السادس ، وتتماثل القافيتان في الثاني والثالث كما تتماثل في الرابع والخامس ، واليك مثلاً مقطوعة خيال شاعر :

ايتها الفتاة الطروب جولي في هذا الكون الشاسع
واهزجي وابعثي الآمال في القلوب الحزينة
ان لك من صباك حلة رائعة متينة
عندما تعبث اناملك البضة بالزهرة تثمل ولا تفيق
والعصافير تغرد راقصة حينما تداعبين ريشها الدقيق
اما انا .. فاشعر بالسعادة تغمرني عندما اتخيل حنان قلبك الواسع .

مالك الاشتر

للاستاذ محمد تقي الحكيم – ١٦٦ ص – منشورات منتدى النشر – النجف

مالك الاشتر وبالاحرى الاشتر النخعي على ما اشتهر به ، شخصية عربية فـذة كانت كبيرة بمواهبها واستعداداتها وشتى امكانياتها ، كان شخصية سلم كما كان شخصية حرب ، ورجل تنظيم وادارة مثلما هو رجل هدم وبناء اجتماعيين .

واذا شئنا ان نستعمل تعبير العصر الشائع ، فقـد كان وحـده طليعة من طلائع التقدمية ضد معسكرات الرجعية يومذاك .

وكان الاستاذ المؤلف موفقاً جداً في عرض تاريخه وما تخلله واشتمل عليه ، من حركة ماضية الى ثورة مشتعلة الى اصـلاح انشـائي .. ونحن اليوم في مرحلتنا الناهضة ، جـدير بنا ان نعرف كثيراً من امر هؤلاء الذين بات امرهم مغموراً ، بينما هم رموز حياة ورموز نهوض ورموز كفاح .

« ابو مضر »

نخب العدو الثلج الاسود وقصص اخرى

للاستاذ سعيد تقي الدين – ٣٤٤ صفحة – منشورات مكتبة الكشاف ومطبعتها – بيروت

لا بد لمن يتوفر على قراءة هذا المؤلـف القيم ، الذي كتبه اديبنا الاستاذ سعيد تقي الدين في مهجره مانيلا وعاشه في وطنه لبنان ، من ان يغمر صاحبه ، قبل كل شيء ، بفيض من الثناء والاعجاب للتوفيق البالغ الذي اصابه على قدر متساو في المسرحية والقصة ، ذلك التوفيق الذي يبرر الى حد كبير سيطرة الخيلاء والادعاء على قلم اديبنا المهاجر في كتابه الجديد .

يحسن بنا بدياً ، ان نشير الى ان الكتاب ذو وجهين ، الاول مسرحي يتألف من تمثيلية « نخب العدو » والثاني قصصي يحتوي على احدى عشرة قصة يغلب عليها جميعها اللون المحلي الذي تصطبغ به ، خاصة ، حياة القرية اللبنانية الراسفة بأغلال التقاليد الجامدة والطائفية البغيضة .

يستهل المؤلف كتابه « بابتهال » يضرع فيـه الى الله « ان يطهر قلوب مواطنيه » بالرسالة التي تفتقت عنها « نخب العدو » و « يصير شيعهم شيعة وطوائفهم طائفة وجماعاتهم جماعة فيمسي عداؤهم حباً وتنازعهم تعاوناً وشرذماتهم كتائب . وقبضاياتهم جنوداً » ثم يقدم الى المسرحية بفصل متنوع الاغراض عيبه انه مفرط في الاسهاب ولكنه لا يشعر القارىء بالملال او البرم لما

يتخلله من النكتة البارعة يسوقها المؤلف دون ما تكلف او جهد.

وفي هذه المقدمة عرض مفصل للمراحل التي مرّ بها وضع هذه المسرحية ووصف دقيق لابطالها الكثيرين وبيان شامل للغة التي كتبت بها والمفردات التي استحدثت فيها. وهنا لا يسعني الا ان اعارض صديقي الاستاذ سهيل ادريس، الذي سبق له ان تناول هذا الكتاب بالنقد في جريدة «بيروت» الغراء، اذ يحمل على المؤلف تحرره من قيود اللغة وخروجه على عمودها باستعماله مثلاً فعل «سرون» بمعنى «زج» ومركب «تعذلب» من استلذ العذاب، و«حلقظ» بمعنى حلُم في اليقظة. فلئن كان الصديق الكريم يستنكر هذه الاستعمالات «التي لا تمت الى الاصول العربية بصلة» ولا يستسيغ هذا «العصير الذي لم يرد له شبيه في كلام العرب يقاس عليه» فانني ارى في هذا التحرر المبدع اجتهاداً موفقاً لم يخرج بالاستاذ تقي الدين عن حد المألوف الى الحوشي المستغرب، لاسيما وان في العربية من امثال «استعوذ» و«بسمل» و«حوقل» ما يؤيد مذهبه ويبرر اجتهاده.

وما ان تنتهي المقدمة حتى يطالعنا المؤلف بسيرته وقد خطها بأسلوب جذل ممتع عليه مسحة من الدعابة الحلوة تجعل القارىء يغتفر لصاحب السيرة — كما اسلفت — الغرور الذي ينضح به اناء حياته.

نخلص الآن الى المسرحية نفسها لنوجه من جديد الى سعيد تقي الدين كلمة اكبار وتقدير يفرضها علينا واجبنا في ان نفيه بعض حقه عرفاناً بالجميل الذي اسداه الى بني قومه عن طريق «نخب العدو» تلك الرسالة الفذة التي ألهمه اياها وعي ناضج للحقيقة الوطنية وشعور صادق بالواقع القومي. ولئن قدر لك ان تقرأ هذه المسرحية فانك واجد فيها صورة مخلصة لهذا الجيل اللبناني المتقلب في اعراقه والذائد عن امجاده والذي تنم مشاعناته واحقاده عن انه لا ينام على ضيم ولا يرضى بذلة، بل يركب الاهوال ابداً طمعاً بالكرامة وسعياً وراء الشرف. وما هي الا جولات موفقة يظهر فيها الحوار بارعاً والفكاهة جلية والاحداث موئسة تارة مفرحة تارة اخرى حتى يخلص بك المؤلف الى الغاية التي تنتظرها بلهف فاذا بالاحقاد تتلاشى والبغضاء تضمحل والطائفية الضيقة تتوارى واذا بالالفة والمحبة والوئام تنتصر كلها لتجعل «الضيعة فوق الحي والمقاطعة فوق الضيعة والوطن فوق الجميع».

هذه هي العناصر المختلفة التي مهدت امام «نخب العدو» سبيل النجاح والتي جعلت من سعيد تقي الدين مؤلفاً مسرحياً من الطراز الاول وعلماً بارزاً من اعلام الادب القومي.

*

ولعمري ان ما يقوله الناقد في «نخب العدو» يقوله كذلك في المجموعة القصيصة التي تلي «نخب العدو». فهذه الاقاصيص المتنوعة، التي يبدو ان المؤلف قد عاشها في الواقع يذوب اغلبها في القرية اللبنانية التي نشأ فيها سعيد تقي الدين وترعرع، ويغلب على بعضها خيال مجنح يحلق بك الى اجواء الذكريات البعيدة التي ما زالت تمور في خاطر اديبنا المهاجر، ويتميز بعضها الآخر بواقعية صارخة تثير شفقتك تارة وتفرج شفتيك عن ابتسامة عريضة تارة ثانية. وتتمتع قصة «الثلج الاسود» بين سائر القصص بالمركز الممتاز الذي رفعها اليه سرد موفق لذكريات الطفولة الغرة وخاتمة مفاجئة فاجعة تعرت فيها حقيقة فتاة فاذا هي امرأة عاهر واذا بالفضيلة التي احتضنتها طفلة تنقلب على حين غرة دنساً وفحشاً. وفي «الشيخ عجاج» تصوير فكه بارع للعقلية الجامدة التي تحارب التطور كما في «حمار الصف» التي تجعل للحظ دوراً هاماً في حياة الانسان يساعده على بلوغ الذروة ولو أكان «حماراً». اما قصة «جحود» فهي خير ما يمثل جحود الانسان وعقوق الولد وتنكر الاهل والاصدقاء في مجتمع فاسد.

وبعد فان الكتاب — بالاضافة الى ما يعيب قصصه احياناً من اسهاب وحشو — لم يخلُ من بعض الهنات النحوية والاملائية التي اود اعتبارها مجرد هفوات طباعية اجل الاستاذ سعيد تقي الدين وهو الاديب المرموق عن ارتكابها او الوقوع فيها.

ومهما يكن من امر فانني ارغب الى القارىء ان يتفرغ لمطالعة هذا الكتاب النفيس كي يقف بنفسه على مدى توفيق صاحبه فيه وينعم ملياً بما احتواه من المفيد اللذ والجديد الممتع. وفضلاً عن ذلك كله فان الكتاب — في مجموعه — رسالة رائعة في الوطنية الصحيحة بعث الينا بها اديبنا عند اشتداد الحاجة اليها ليفيد منها اولئك الذين في آذانهم وقر وفي قلوبهم مرض. وعسى ان يتيح لنا الاستاذ سعيد تقي الدين دائماً فرصة الاستمتاع بأدبه الرفيع الذي تذوقناه في القصة والمسرحية معاً.

رشيد شقير

المصادر العربية للثقافة الحديثة

بقلم قدري قلعجي

انبئ لي في سنة ١٩٤٣ ان اتعرف بالدكتور كوروستوف تسيف مراسل وكالة تاس في القاهرة ، وكان قد قدم الى بيروت لقضاء بضعة ايام فيها واتجه همه اثناء اقامته القصيرة الى زيارة مكاتبها وجامعاتها والاطلاع على سير الحركة الفكرية فيها ، فتحدثنا في شؤون ثقافية شتى وخصوصاً في شؤون الاستشراق واعمال المستشرقين في الاتحاد السوفياتي ، لان محدثي نفسه كان من المستشرقين المختصين بالشؤون المصرية وله فيها ابحاث نفيسة ، فأفضى الي بمعلومات هامة نشرتها يومذاك في جريدة «صوت الشعب» ثم نقلت قسماً منها في مجلة «الطريق» . وقد اخبرني الدكتور كوروستوف تسيف في خلال ذلك الحديث ان المستشرق العلامة كراتشقوفسكي قد طلب اليه ان يوافيه منذ وصوله الى بيروت او القاهرة ، بفهارس الابحاث الادبية والعلمية التي نشرت في الصحف العربية ، وبالكتب الحديثة التي صدرت لكبار الكتاب العرب ، لانقطاعه عن متابعة الحركة الثقافية في البلدان العربية منذ نشوب الحرب وتعذر وصول النتاج الفكري العربي الى الاتحاد السوفياتي . وكلفني الدكتور الحصول على هذه الفهارس كي يرسلها الى كراتشقوفسكي تلبية لطلبه .

ولشد ما كانت دهشة الرجل عظيمة لما اخبرته بعد ايام ، ان الفهارس التي يطلبها لا وجود لها باللغة العربية . فقد عدّ ذلك نقصاً رئيسياً في الحركة الثقافية لا يتسنى لها ان تقوم على اساس صحيح قبل سده ، لصعوبة وصول المؤلفين بدونها الى المصادر الوافيه في الابحاث التي يريدون معالجتها . واخبرني ان في الاتحاد السوفياتي دائرة كبرى تضم مئات الموظفين الاختصاصيين ، لا عمل لها سوى اصدار الفهارس الدورية لكل ما يصدر من الاسفار وما يكتب في الصحف في كل فرع من فروع المعرفة ، مرتبة على الحروف الابجدية ، حسب مواضيعها وحسب مؤلفيها ، وهي تتبادل هذه الفهارس مع جميع المعاهد العلمية والمؤسسات الثقافية في العالم ، وتوزعها على دور الكتب والجامعات والجمعيات المختلفة وعلى كل من يطلبها من المؤلفين والباحثين والمعلمين وطلاب المدارس العليا ، كي يتاح لهم الاطلاع على جميع المراجع المتعلقة بنطاق اختصاصهم لاستيفاء البحث عنها والالمام بها من جميع نواحيها . وكذلك الشأن في جميع البلدان الراقية التي يقوم فيها العمل الثقافي على اسس راسخة وينهج نهجاً علمياً صحيحاً .

وقد ظل هذا الموضوع يشغل ذهني منذ ذلك الحين ، حتى وقعت يوماً على كتاب من هذا القبيل للعالم المحقق والكاتب البحاثة الاستاذ يوسف اسعد داغر امين دار الكتب اللبنانية المعاون ، بعنوان « الشرق في الادب الفرنسي بعد الحرب » ، يقع في ثلاثمائة وعشر صفحات من القطع الكبير ، ويتضمن الاصول الفرنسية لتاريخ الشرق عامة ولبنان وسوريا خاصة من سنة ١٩١٩ الى سنة ١٩٣٣ ، وفيه ستة آلاف وثلاثمائة مصدر فرنسي لدراسة جميع نواحي الحياة الادبية والعلمية والتاريخية والجغرافية في بلاد الشرق ، مبوبة ومفهرسة ومرتبة على الحروف الابجدية ، كأحسن ما يكون الكتاب العلمي الذي انفق صاحبه في تأليفه سنوات طوال من البحث والدرس والتنقيب . فاكبرت هذا العمل الجليل القدر العظيم الاهمية .

وفي سنة ١٩٤٤ ، حين كانت الاوساط السياسية في البلدان العربية تستعد لاقامة مهرجان ابي العلاء المعري ، لمناسبة ذكراه الالفية ، اصدرت مكتبة صادر في بيروت ، لذلك الكاتب المحقق نفسه ، كتاباً في واحد وخمسين صفحة ، اثبت فيه جل ، او كل ، ما كتب عن ابي العلاء المعري في اللغة العربية واللغات الاجنبية ، حتى بلغت المصادر التي تضمنها ٣٥٠ مصدراً ، مع فهرس باسماء مؤلفات الفيلسوف الشاعر مرتبة على حروف المعجم . فقدرت الجهد العظيم الذي بذله صاحبه حتى وضع هذا الثبت الحافل بشتى الدراسات في خدمة المؤلفين والباحثين . ولكن التقدير لم يلبث

ان انقلب الى اعجاب كبير ثم الى دهشة فائقة ، حين علمت ان هذا الكتاب لم يكن سوى جزء صغير من حرف واحد من حروف معجم للثقافة العربية توفر الاستاذ يوسف اسعد داغر على تصنيفه منذ سنين .

وحينئذ سعيت لاتعرف بهذا البحاثة الكبير ، ولأطلع عن كثب على عمله الذي لا يكاد يتصور الانسان ان في وسع امرء الاضطلاع به بمفرده ، واذا بي اتعرف بعالم موفور المعرفة واسع الاطلاع يتصف بكل ما يمتاز به العلماء الذين نذروا انفسهم لخدمة الثقافة من خلق كريم وصبر عظيم وجلد عجيب على العمل الدائب والبحث المتواصل . ثم اطلعتُ على العمل الذي يقوم به في اخلاص وتضحية وصمت ، فالمس اهميته وتدهشني سعته ، فآخذ على نفسي تعريف الاوساط الثقافية العربية به ، لعلها تعنى به العنايـة التي يستحقها لشده حاجة الثقافة العربية اليه في أيامنا هذه .

ان فكرة هذا المشروع الضخم قد جالت في خاطر الاستاذ داغر ، وهو يتلقى تحصيله في مدسة الشارت والصوربون حين ارسلته الحكومة اللبنانية الى باريس على نفقتها للتخصص في فن تنظيم المكاتب . فقد شاهد اهتمام الجمعيات العلمية في جميع انحاء العالم بتبادل فهارسها الدورية للانتاج الفكري في بلادها ، فاخذ على نفسه القيام باعداد فهارس علمية مختلفة لنتاج الثقافة العربية الحديث ، بحيث يتمكن الباحث من الوصول بواسطتها الى مصادره بأقل ما يمكن من العناء توفيراً للوقت وتسهيلاً للدرس . وبدأ عمله بوضع جدول عام لأهم المجلات العربية التي صدرت في الشرق وفي الغرب وبدأ بفهرستها منذ صدورها الى اليوم . كما اخذ يطالع جميع البيانات التي تصدرها دور الشرق في العالم العربي ، مرتباً اسماء الكتب والمطبوعات التي وردت فيها حسب تصنيف العلوم وعلى احدث الطرق العلمية . وقد فهرس حتى الآن ٨٥ مجموعة من اهم مجموعات الصحف العربية ، كمجموعة « المقتطف » التي تقع في ١٠٧ مجلدات ، ومجموعة « الهلال » المؤلفة من ٥٣ مجلداً ، ومجموعة « المشرق » التي بلغت ٤٢ مجلداً ، ومن هذه المجموعات ما يندر الحصول عليه . وليس ثمة حاجة الى بيان الوقت والعناء الذين يقتضيهما مثل هذا العمل الواسع ، حتى كان الاستاذ داغر يسهر في بعض الاحيان الى ما بعد منتصف الليل وهو مكب على عمله باحثاً منقباً .. وكان يطالع بنوع خاص الحقول المخصصة للنقد الادبي في المجلات العربية والاستشراقية ، مدوناً على جـذاذات (فيش) خاصة اسماء الكتب المبحوث عنها .

وقد تجمع لديه من ذلك العمل الدائب ما يقارب خمسمائة الف بطاقـة ، وهي تقسم الى قسمين رئيسيين : البطاقات الخاصة بالاعلام التاريخية والجغرافية ، والبطاقات الخاصة بمواضيع العلوم .

وقد اطلق على هذه المجموعة الكبرى من الفهارس اسم « المصادر العربية للثقافة الحديثة » ووزعها الى مناحي متعددة ، منها ما هـو خاص بتاريخ الادب العربي ولا سيا الحـديث منه (من سنة ١٨٠٠ الى سنة ١٩٥٠) وهذا القسم يقع في عشرة اجزاء مختلفة ، وهو يتناول الادب ومظاهره في جميع البـلدان العربية والمهاجر ودوائر الاستشراق . وقد مهد لهذا القسم بجزء خاص ضمنه الكليات في الادب والمعاجم والالسن السامية والمجامع اللغوية والترجمة والتعريب والمصطلحات العلمية وغير ذلك مما له علاقة بفقه اللغة . ثم خصص لكل بلد من البلدان العربية جزءاً خاصاً يبحث الاتجاهات الادبية ومظاهر الادب منه ضمن التاريخ المذكور . ثم قسم كل جزء من الاجزاء العشرة الى دراسـات خاصة تتناول ائمة الادب في البلد العربي الذي اختص به ذلك الجزء مسجلاً هـذه النواحي الثلاث في كل اديب من ادبائه : سيرته ، مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة ، المصادر والمراجع الضرورية لاستكمال دراسته دراسة وافية .

ومن اقسام تلك المجموعة الكبرى من الفهارس فهرس خاص بالرواية العربية بعنوان « معجم القصة العربية الموضوعة او المعربة » سجل فيه مـا وصل اليه بحثه من الروايات والقصص العربية ، موضوعـة كانت ام معربة من اللغات الاجنبية ، مدوناً عنوان الرواية واسم مؤلفها ومترجمها ان كانت مترجمة ، وموجز حوادثها ، مع الاشارة الى تاريخ طبعها ومحله ، وعدد صفحاتها ، ونقدها الادبي اذا كانت قد نقدت في الصحف العربية . وقد جمع حتى الآن ما لا يقل عن عشرة آلاف قصة واقصوصة او رواية ، مبوبة بحسب عناوينها ، وسيتلو ذلـك تبويب ثان باسماء المؤلفين والمترجمين ، وآخر بحسب اللغات المترجمة عنها . وقد قدم لمعجم الرواية هذا ، بمقدمة اتى فيها على ذكر المصادر العربية التي تناولت فن القصة فجمع منها ما لا يقل عن اربعمائة مصدر .

ومن اقسام هذه المجموعة ايضاً قسم خاص بالتربية والتعليم ، بعنوان « المصادر العربية للتربية الحديثة » جمع فيه كل ما كتب

باللغة العربية عن التربية والتعليم بجميع فروعها وما يتصل بها من المسائل العامة . وهـذا القسم مبوب على ثلاثة ابواب ، يتناول الباب الاول منها كل ما يتعلق بالتربية والتعليم عـامة من اصول ومستندات ظهرت باللغة العربية تمت بصلة الى التربية ، واغراضها ووسائلها ، وانواعها ، وخصائص كل نوع منها ، واتجاهاتها المختلفة . او بما يتعلق بالمعلم ، واعداده ، واخلاقه وتأثيره . وبالمدرسة ، وشروطها الفنية والصحية . وبالتفتيش ، واصوله ، واعـداد المفتشين ، ودور المعلمـين . كما يأتي بثبوت المصـادر المتعلقة بالتعليم على مختلف درجاته من دور الحضانة الى التعليم الابتدائي فالثانوي فالعـالي . وغير ذلك من الاصول التي تتعلق بالمدرسة والسينما ، والمدرسة والمتحف ، والمدرسة والرحلات . والباب الثاني من هذا القسم خاص بالمراجع التي تتعلق بالتربية والتعليم في البلدان الاسيوية لا سيما العربية منها ، وقد تحرى فيه بدقة ما صدر من المطبوعات العربية ، من كتب او مقالات في المجلات الكبرى التي تعرضت من قريب او بعيد لقضايا التعليم والتربية في هذه الاقطار ، متقصياً سير التربية وتياراتها الحديثة في كل منها . ثم يستعرض هذا الباب الاصول العربية الاخرى التي لها مساس بالتربية والتعليم في البلدان الشرقية كتركيا وايران والهند والصين واليابان وغيرها . واما الباب الثالث فهو يتناول الاصول التربوية العربية الخاصة بالتعليم في الغرب ، مستعرضاً ما صدر منها بلغة الضاد عن التربية والتعليم ومناهجها في انكلترا وفرنسا وروسيا والمانيا وايطاليا والولايات المتحدة الخ . . وهـذا القسم توطئة تقع في فصلـين تمهيديين يشتمل اولهما على المصادر العربية التي تتعلق بعلم النفس الحديث مطبقاً على التربية والتعليم ، لانه اساس التربية الحديثة وركنها الوطيد . ويتناول الفصل الثاني الاصول المتعلقة بتاريخ التربية عند العرب ، واهم المخطوطات العربيـة التي تمت بصلة الى التربية والتعليم والاخلاق . وقد مهد لذلك جميعاً بثبت عام لجميع المجلات العربية التي بحثت او تبحث في التربية وتخصص معظم حقولهـا للتعليم ، منذ ابتداء الصحافة العربية حتى يومنا هذا ، منوهاً باهمية كل واحدة منها ، وبمميزاتها الفارقة . فهو على الاجمال ، لم يترك مما وصله خبره شيئاً يتعلق بالتربية الا واثبته في مواضعه بهذا القسم من فهرسه العام ، معلقاً عليه بايجاز تعريفاً للقارىء بأهمية المرجع .

ومن اقسام هذه المجموعة الكبرى من الفهارس ، فهرس خاص على شكل معجم ، بأسماء الادباء العرب الذين كتبوا او الفوا باسماء مستعارة ، وهي ناحية هامة وطريفة من نواحي الادب العربي الحديث ، اشار الى وجوب العناية بها المستشرق الروسي اغناطيوس كراتشقوفسكي في مقال نشره في مجلة المجمع العلمي بدمشق ، السنة العاشرة الصفحة ٢٢٥ فقال : « ومن قبيل المعاجم التي تسهل الابحاث العلمية معجم الاسماء المستعارة وقد انتشرت هذه العادة بين كتب العرب ، وهذا المعجم لا يتسنى جمعه الا لمن كان معاصراً للكتبة او مستنداً الى تذكرات معاصريهم ، فان الذكرى عن معنى هذه الاسماء تتلاشى بمرور الايام » . وقد تم للاستاذ داغر جمع مئات من الاسماء المستعارة التي تلبس بها بعض الكتاب وبينهم من هو من ائمة الادب العربي المعاصر ، ولعل الادباء العرب يعمدون الى موافاته بما لديهم من هذه الاسماء المستعارة استكمالا لهذا المعجم .

تلك هي بعض الخطوط الرئيسية في هذا المشروع الكبير الذي يضطلع به بمفرده باحث لبناني مجهول القدر مغمور الفضل ، وكان ينبغي ان تنذر له جهود كثيرة ومؤسسة ثقافية باسرها . وقد بلغ خبر هذه المحاولة العلمية الجبارة اسماع الدكتور فيليب حتي اثناء زيارته للبنان منذ شهور ، فاتصل بالاستاذ داغر ودرس الفهارس التي صنفها ، فتبين اهميتها وصرح امام الكثيرين من رجال الادب في لبنان ، بانها اوسع محـاولة علمية في الشرق لتنسيق النتاج الفكري العربي ، يقوم بها فرد مستقل ، وتمنى ان تتبنى الهيئات الثقافية في الدول العربية هذا المشروع الفذ ، لاتخاذ الوسائل التي تؤمن نشره والانتفاع منه .

ونحن نتبنى بدورنا اقـتراح الدكتور حتي ، ونتمنى على الهيئات الرسمية في البلدان العربية ، ولا سيما على الفرع الثقافي في الجامعة العربية ، درس هذا المشروع ، وتبين الخطى التي اجتازها ، وتعيين لجنة خاصة لانجازه ونشره ، واثقين من ان ظهوره في هـذا المنعطف من تاريخ نهضتنا الحديثة ، سيؤدي اجل الخدمات للدراسات العلمية والادبية ، لما يفتح امام المؤلفين من آفاق جديدة وما يمهد امامهم من سبل البحث . كما نلفت نظر الحكومة اللبنانية بنوع خاص ، للوقوف على هذه المحاولة العلمية العظيمة الاهمية ، وتشجيع صاحبها بما يستحقه جهده المشكور ، فانه لمما يرفـع اسم لبنان ان يكون السابق الى هذا المنهج العلمي وموصل هذه الطرق العلمية الى الشرق .

قدري قلعجي



٢٦ ايلول – صرح الجنرال ايزنهور في تعليقه على الرأي الذي اعرب عنه المرشال ستالين من ان القوة الذرية لا تستطيع وحدها تقرير مصير الحرب بقوله « ان القنبلة الذرية هي اعظم آلة للتهديم وجدت حتى الآن .

٢٧ – تسلم اللورد ستانسغيت الرد المصري على المذكرة البريطانية الجديدة وفيه ترفض هيئة المفاوضات المصرية المقترحات البريطانية وتطلب الجلاء بعدة سنة واحدة والغاء والمشاورات في حالة التهديد بالحرب . ووحدة وادي النيل بظل التاج المصري .

– قدم اسماعيل صدقي باشا استقالته

٢٨ – قدم تسالداريس رئيس الحكومة اليونانية استقالته نور وصول الملك وقد كلف بتشكيل الوزارة الجديدة

٣٠ – رفض سوفوليس زعيم حزب الاحرار أن يشترك في الحكومة اليونانية الجديدة الا اذا وافق رئيس الحكومة تسالداريس على انتهاج سياسة راديكالية .

١ تشرين الاول – رفض الملك فاروق استقالة صدقي باشا

– اصدرت محكمة نورمبرغ العسكرية الدولية احكامها على زعماء المانيا الواحد والعشرين وهو يقضي بالاعدام شنقاً على غورنغ وروبنتروب وكايتل ، وبرنر ، وروزنبرغ ، وفرنك ، وفريك ، واشترايخر ، وسوكل ، وجودل وافكاروت وبورنمال . وبالسجن المؤبد على هيس وفونك وريدر . وبعشرين سنة على فون شيرات وسبير وبخمس عشرة سنة على فورات وبعشر سنوات على دانتز وقد برأت المحكمة فون بابن وشاخت وفرتشي .

واعلنت المحكمة ان المندوب السوفياتي اعرب عن عدم موافقته على تبرئة شاخت وفون بابن وفريتشي وكذلك ، لا يوافق على القرار المتخذ بحق حكومة الريخ وهيئة اركان الحرب العامة والقيادة العليا اذ يرى انها منظمات اجرامية وهو لا يوافق ايضاً على الحكم الصادر بحق هيس ويرى انه يستحق الاعدام .

٢ – تأجل مؤتمر فلسطين المعقود في لندن الى ما بعد انعقاد مؤتمر الامم المتحدة العام .

٣ – اذيع ان المرشال تيتو وقع امراً بتسريح كافة افراد القوات المسلحة من فرق الانصار وعدداً كبيراً من الفرق الاخرى

٤ – ادلى الرئيس ترومن ببيان طالب فيه بوجوب زيادة الهجرة الى فلسطين حالا .

٥ – اعلن ناطق بلسان وزارة الخارجية البريطانية ان السير دايفيس كيلي السفير البريطاني لدى الحكومة العراقية قد قدم الى حكومة انقرة مذكرة تبين وجهة نظر بريطانيا في مسألة المذكره الروسية الاخيرة الى الحكومة التركية المتعلقة بتعديل الموقف الراهن في الدردنيل والبوسفور

٧ – ذكر المستر بيرصون في اذاعة له ان الولايات المتحدة قد امدت بريطانيا بكمية من القنابل الذرية خزنها في شمالي انكلترا

– التمس الاميرال ريدر من مجلس المراقبة الحليف في المانيا يرجو فيه اعدامه رمياً بالرصاص بدلا من سجنه مدى الحياة

٩ – قامت اليوم اكبر تظاهرة للعمال شهدتها ايطاليا منذ تحريرها اشترك فيها ثلاثون الف عامل .

– ارسلت الولايات المتحدة الاميركية مذكرة الى الحكومة السوفياتية تؤكد فيها معارضتها لفكرة قصر الدفاع عن الدردنيل على تركيا وروسيا . ومقاومة الولايات المتحدة للتوسع العسكري الروسي في المضايق

١٠ – خطب المرشال سمطس في البرلمان الهولندي فدعا بريطانيا لان تقود حركة تأليف اتحاد اوروبي ليكفل استقلال الدول الصغرى التي ستصبح بدون هذا الاتحاد تابعة حتما للدول الكبرى .

١٣ – صرح الجنرال ايزنهور لمندوب الصحف انه لا يعتقد بحدوث حرب جديدة لذلك يقف بجانب المتفائلين

١٤ – انتهى مؤتمر الصلح من اعماله بعد ان فرغ من التصويت على المعاهدة الفنلندية وبعد احد عشر اسبوعاً من العمل .

١٥ – اعلن المستر اتلي رئيس الوزارة البريطانية في مجلس العموم ان الحكومة البريطانية تدرس مسألة نقل القيادة البريطانية العليا للشرق الاوسط الى شرقي افريقيا

١٦ – نفذ حكم الاعدام شنقاً بالزعماء الالمان : ريبنتروب ، كايتل روزنبرغ ، كالتنبرنر ، فرانك ، فريك ، شترايخر ، سوكيل ، يودل ، زايس انكوارت . وقد انتحر غورنغ في غرفته مساء امس بان تناول جرعة من السم .

١٧ – سافر اسماعيل صدقي باشا رئيس الوزارة المصرية الى لندن للاجتماع بالمستر بيفن والبحث في قضية المعاهدة .

١٨ – سلم اليوم الرد التركي على المذكرة السوفياتية وقد اعد الرد على نفس الاسس التي اعد فيها الرد التركي الاول

– جرت اليوم اولى محادثات اسماعيل صدقي باشا مع المستر بيفن .

١٩ – سلمت الحكومة الاميركية الى الحكومة اليوغوسلافية مذكره احتجاج على المعاملة السيئة التي يلقاها في يوغوسلافيا الرعايا الذين يعتنقون الجنسية الاميركية .

٢١ – بدأت الاضطرابات في الهند تتخذ طوراً خطيراً فقد هاجمت القبائل سيارة البنديت جواهر لال نهرو نائب رئيس الحكومة واصيب هو ومن معه بجراح طفيفة .

٢٢ – قدم اعضاء الوزارة اليونانية استقالتهم ليفسحوا المجال للتعاون مع المعارضة

٢٣ – لا تزال المناقشة في مجلس العموم دائرة حول السياسة البريطانية الخارجية ، فقام المستر تشرشل وحمل بعنف على الشيوعية ودعا الى دعوة اميركا للاشتراك في حل مشكلة فلسطين .

– عقدت الجمعية العمومية للامم المتحدة جلستها الاولى وقد افتتح الجلسة الرئيس ترومان

٢٤ – القى المستر اتلي في المؤتمر السنوي لاتحاد نقابات العمال البريطاني خطاباً اعرب فيه عن اسفه للسياسة التي تتمشى عليها روسيا .